

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر - سعيدة -

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها



مذكرة تخرج:

لنيل شهادة ماستر في اللغة العربية وآدابها

بعنوان:

أسلوب التّعرض ودلالته في القرآن الكريم

بإشراف الأستاذ:

• د. بن يمينة بن يمينة

إعداد الطالبة:

• خداوي هوارية

لجنة المناقشة

رئيسا

جامعة سعيدة

د. زحاف جيلالي

مشرفا و مقرا

جامعة سعيدة

د. بن يمينة بن يمينة

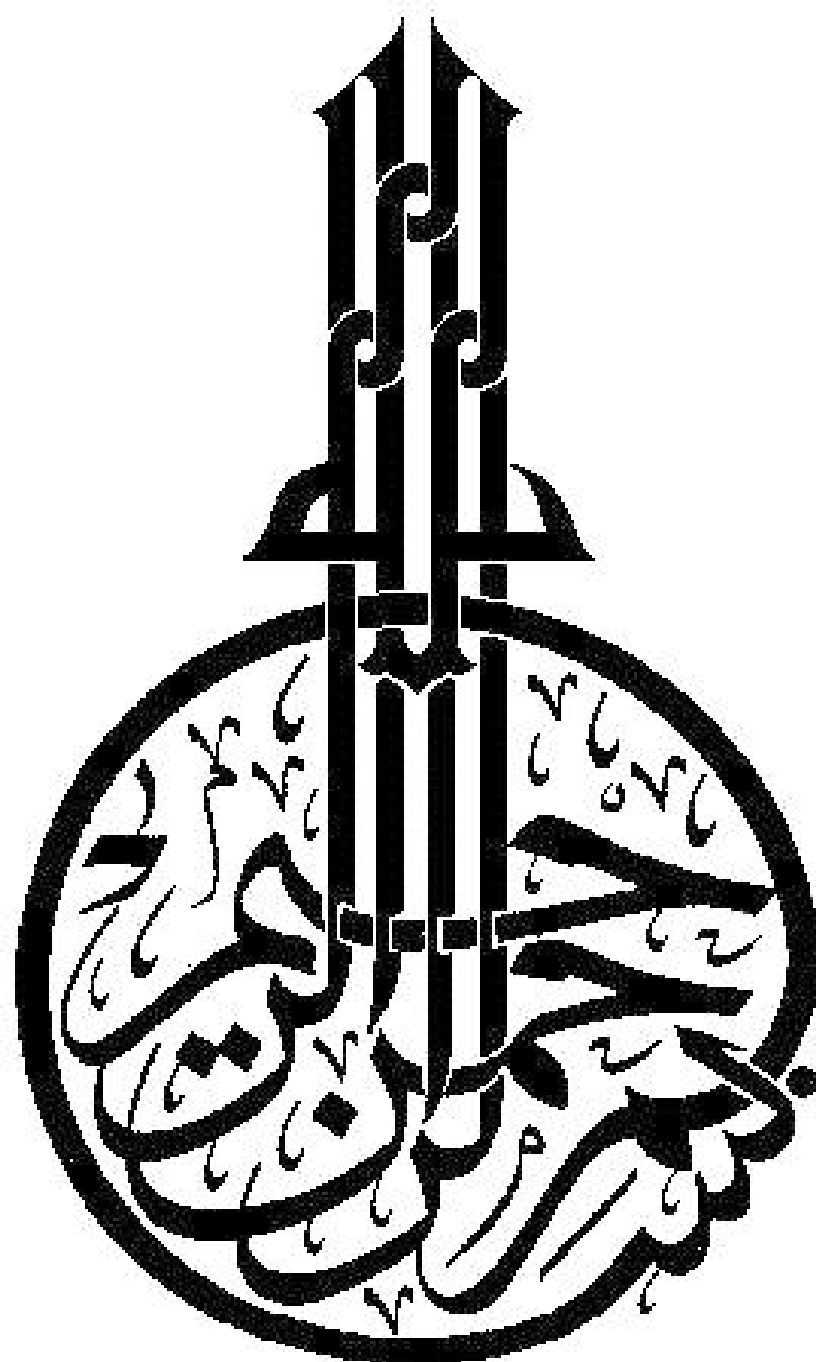
ممتحنا

جامعة سعيدة

د. كريم بن سعيد

السنة الجامعية:

1437هـ - 1438هـ / 2016م - 2017م



دعاء

الحمد لله الذي خلق الإنسان، و علمه البيان، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن أشرف ما تتجه إليه الهمم العالية هو طلب العلم لأن ذلك يوصل إلى السعادة في الدارين.

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

سورة المجادلة الآية: 11

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحَيَّاتِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ}.

أخرجه الإمام أحمد

تشكرات

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى أستاذي ومُؤطري "الدكتور بن يمينه بن يمينه"
الذي ساعدني على إنجاز هذا البحث رغم انشغالاته العلمية المختلفة، كما لا يفوتني في هذا المقام
أن أتقدم بالشكر إلى مدير مخبر اللسانيات والترجمة "الدكتور طيبي أحمد"، وكذلك رئيس القسم
"الأستاذ زروقي معمر" على الدعم والتوجيه المقدم خلال مشواري الدراسي، كما أشكر "الدكتور
كريم بن سعيد" على توجيهاته القيمة، وكذلك "الدكتور زحاف الجيلالي".
أشكر جميع أساتذة قسم اللغة العربية الذين لم يخلوا علينا بعطائهم المعرفي.
إلى كل من وقف معي وساعدني ولو بكلمة طيبة جزاه الله خيراً وأسعده في الدارين.

هوارية

إهداء

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل أما بعد، فإذا كان الإهداء لمعلمينا يُعبر ولو بجزء من الوفاء فالإهداء إلى مُعلم البشرية، ومنبع العلم مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم.

✓ ثمرة جهدي أهديها إلى روح أمي الطاهرة-رحمها الله-

✓ إلى أبي الغالي يا من أحمل اسمه بفخر أطال الله عمره، و متعه بالصحة، و العافية.

✓ إلى من علمني أصول الحياة فكان مثلي أخي عبد كريم جازاه الله خيراً.

✓ إلى الذين تجمعني بهم الابتسامة في فضاء المحبة إخوتي وأبنائهم، وكلّ الأهل.

✓ إلى كل رفقاء الدرب خلال الدراسة.

✓ إلى وطني الغالي الجزائر، والمجد، والخلود لشهادتنا الأبرار.

هوارية

مقدمة

الحمد لله الذي أشرق بنور وجهه السموات والأرض، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، و على آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين. ربي اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهو قولي.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله لانفراده بطريقة سوية في تأدية المعاني، وإبرازها في قوالب لغوية لا تنافر بين ألفاظها، ولا بين حروفها، تسلك بالناس مسالك الهدى من غير تكلف، وتأخذ عقولهم إلى التأمل، والتدبر في الحجج التي يأتي بها الواقع، والقرآن أسمى، وأرفع من أن تُعبر عنه ألسنة المتكلمين، وأقلام الكاتبين ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى أعجز العرب بعدما أنزل قرآنًا بلسانهم، وتحداهم أن يأتوا بآية من مثله رغم فصاحتهم.

تعتبر الألفاظ وسيلة للتعبير عن المقاصد الإنسانية، ومن تم أداة لتوصيل فكرة معينة عبر عنها بصريح الألفاظ حتى تصل إلى السامع فيفهم مقصد المتكلم، ولكن إن كان في التصريح نوع من التجريح، والتحقيق، والأذى على المتلقي فيجوز للمتكلم أن لا يُصرح بالكلام، بل أن يُعرض به.

ومن أجل هذا وغيره يسر الله لي أن أختار موضوعاً غاية في الأهمية نظراً لكثرة استخدامه في القرآن الكريم، والحاجة لاستعماله في حياتنا اليومية، والذي عنونته ب: أسلوب التعريض ودلالته في القرآن الكريم.

فالتعريض هو أسلوب غير مباشر، حسنه ظاهر لأنه يتضمن إعلام السامع على صورة لا تقتضي مواجهته بالخطاب المنكر، فقد جعلت معاريض الكلام حتى يصل مقصود المتكلم إلى السامع دون استخدام الكذب الذي حرمه الله سبحانه وتعالى، ورسوله، لذا يجدر بي طرح السؤال الآتي:

✓ كيف يتم استجلاء المعنى الخفي وراء كل عبارة تعريضية ؟

إن اختياري لهذا الموضوع راجع لكون أسلوب التعريض له فوائد كثيرة منها:

- كثرة استخدام أسلوب التعريض في القرآن الكريم.
- التعريض من أساليب التربية في القرآن الكريم.
- إيصال الأمر مُغَلَّفًا باللفظ والأدب.
- التعميم في الحديث دون لفت النظر إلى المعني به.
- المدح، والتعظيم للعمل الطيب، وأصحابه.
- التراجع عن الشيء دون فضيحة.

ومن الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذا البحث هو شح الدراسات، والمراجع التي تعالج هذا النوع من الأساليب اللغوية، ذلك ما شجعتني للبحث في هذا الموضوع، رغبة في تقديم دراسة جادة أُبرز من خلالها قيمة أسلوب التعريض ليكون مرجعاً لطلبة العلم.

وإجابة عن الإشكال المطروح سلفاً، اتبعت خطة محكمة لضبط الموضوع، وهي كما يأتي:

مقدمة لبيان أهمية الموضوع، يليها مدخل تمهيدي يضم الحديث عن القرآن، وإعجازه، ومدى أهمية أسلوب التعريض، ثم أدرجت فصلين.

بالنسبة للفصل الأول فقد عنونته كآلآتي: التعريض ودلالته، واحتوى هذا الفصل على تمهيد للحديث عن عناصر الموضوع المتضمنة مفاهيم كلٍّ من: الأسلوب، والدلالة، والقرآن الكريم، كما تضمن هذا الفصل المباحث الآتية:

المبحث الأول: تطرقت فيه إلى تعريف التعريض لغةً واصطلاحاً، والألفاظ ذات الصلة بالتعريض (الكناية، والتورية).

المبحث الثاني: تضمن هذا المبحث مقصود دلالة التعريض.

المبحث الثالث: تناولت في هذا المبحث الكشف عن أهمية عناصر الدلالة لأسلوب التعريض، وهي ثلاثة: العبارة، والسياق، والمقام.

المبحث الرابع: تعرضت في هذا المبحث لمشروعية معاريض الكلام في القرآن الكريم، ثم حكم معاريض الكلام بالنسبة إلى:

أ- التعريض بالخطبة، والذي يختلف حكمه، وذلك باختلاف حال المخطوبة فنجد:

التعريض لمخطوبة الغير، التعريض بخطبة المعتدة الرجعية، التعريض بخطبة المتوفى عنها زوجها، التعريض بخطبة المعتدة البائن من خلال مذهبين، ثم التعريض بخطبة المعتدة من نكاح فاسد أو فسخ أيضاً من خلال مذهبين.

ب- أما بالنسبة لحكم التعريض بالقذف فيكون أيضاً من خلال مذهبين.

وبخصوص الفصل الثاني فقد عنوانته كالآتي: بلاغة التعريض ودلالته في القرآن الكريم، و احتوى هذا الفصل على تمهيد يتضمن مفهوم التعريض عند كل من علماء اللغة، والبلاغة، وكذا المحدثين، واحتوى هذا الفصل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: تضمن هذا المبحث صور التعريض في المعاني (التقديم والتأخير)، والبيان (الكنائية)، والبديع (التورية).

المبحث الثاني: تضمن هذا المبحث طائفة من الآيات القرآنية لدلالة أسلوب التعريض في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: بينت في هذا المبحث القيمة الفنية لأسلوب التعريض في القرآن الكريم.

ختمت الدراسة بتبيان أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

واعتمدت في هذا البحث على المنهج التركيبي الكفيل بتحليل، وفك الغموض الواقع في العبارة التعريضية، مرتكزة في ذلك على مجموعة من المصادر، و المراجع كان من أهمها: كتاب الله برواية ورش عن الإمام نافع، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي "تفسير القرآن الكريم"، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري "الكناية والتعريض"، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري "النهاية في الكناية المعروف بالكناية والتعريض"، إبراهيم محمد عبد الله الخولي "التعريض في القرآن الكريم"، السيد أحمد هاشمي بك "جواهر البلاغة في المعاني"، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي "القرآن الكريم"، فضل حسن عباس "لبلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع"، رمضان القسطاوي "الأساس - المنجد في البلاغة".

وأخيراً أسأل الله العلي القدير أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسداد، ويجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم.

المدخل

الحمد لله القائل في كتابه الكريم ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾¹، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، القائل فيما صح عنه: {خيركم من تعلم القرآن، وعلمه}، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى سمي كتابه الكريم بأسماء تشير إلى عظمته فقد سماه: هدى، وشفاء لما في الصدور، ومهيماً على كل الكتب، والشرائع، ووصفه بأنه مُحْكَمُ الآيات، وتحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله، ذلكم هو القرآن الكريم الذي وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾²، والقرآن الكريم مصدره هو الله سبحانه وتعالى فيستحيل إجراء مقارنة بين القرآن، وكلام البشر، وكما تحدى ربنا جل وعلا بخلقه: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾³ بل الظالمون في ضلالٍ مُّبِينٍ⁴، تحدى بكلامه سبحانه: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾⁴.

إن القرآن العظيم كان مداداً لكل باحث، وذخيرة لا تنفذ، فمن معانيه نتدبر، ومن أفكاره نقتبس، ومن سحر بيانه، وروعة أسلوبه نتأثر.

لقد أصبح البحث في إعجاز القرآن يحمل الصدارة ذلك أنه الكتاب المعجز، وكونه وحي السماء، السلوك المنظم لجميع البشر، واستعمل العرب أذهانهم وعبقرياتهم لدراسة ظاهرة الإعجاز البلاغي

¹ سورة الإسراء، الآية: 88.

² سورة الإسراء، الآية: 82.

³ سورة لقمان، الآية: 11.

⁴ سورة الطور، الآية: 34.

نفساً ساعدتهم هذه الدراسة على فهم وإدراك أسرار القرآن، وبالتالي بعث عديد العلوم، والفنون اللغوية إلى حيز الوجود.

لم يعجز القرآن الكريم العرب لسانياً من حيث نظمه فقط، ولكنه علاوة على الإعجاز اللساني المتحدي الذين عجزوا عن الإتيان آية مثله، وقد نزل بلسانهم، فإن "متكلماً عادياً عامياً أو مثقفاً يستطيع أن يحكي أو أن ينسج رسماً كلامياً بعينه محل كلام المتكلم من جنس كلام لغته، بل إن المتكلم على مستواه من قول إلى قول قد يقول القول نفسه، لكن ليس بالوجه ذاته، وهذه وجهة عامة لا تتعلق باللغة وحسب، بل بكل نوع من أشكال الفن والتعبير، فكيف إذا كان هذا الكلام وحياً إلهياً؟ فمن هنا كان الإعجاز بالنسبة إلى اللغة القرآنية المتفردة لا بطبعها وخصائصها وحسب، لكن باستحالة نسجها ونظمها أكثر من مرة، لأنّ أي نسج مزعوم من شاك أو ملحد، سيؤدي به إلى نسج لغة أخرى غير اللغة القرآنية"¹.

ما شد انتباهي في أسلوب التعريض هو قيمته الفنية، فأردت أن تكون هذه الدراسة في القرآن الكريم حتى أغوص في فهم معاني القرآن، والتدبر في آياته، وبالتالي استجلاء المعنى الخفي وراء كل عبارة تعريضية، وآية قرآنية بالاستناد على مجموعة من التفاسير القرآنية.

إن الناس تكره الأسلوب المباشر في النقد، ولا يحبون أن يقال لهم الأوامر مباشرة، فالتصريح يهتك حجاب الهيبة، أما التعريض فهو يخالف التصريح وبذلك يستميل النفوس الفاضلة، والأذهان الذكية، وقد يكون استخدم التعريض، أو الأسلوب غير المباشر لإحداث مزيد من التقبل، والالتزام بمضمون التوجيه.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أخطأ أناس من المسلمين يقول ما بال أقوام يقولون، أو يفعلون كذا وكذا، بمعنى أنّه عليه أفضل الصلاة والسلام كان لا يُصرح بصاحب الخطأ أمام الناس. وبهذا يكون التعريض بإعلام السامع على صورة لا تقتضي مواجهته بالخطاب المنكر.

¹ ينظر: عبد الجليل مرتاض، علم اللسان الحديث في القرآن الكريم، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع الجزائر-2013، دط، ص46

"والتعريض ضد التصريح، أي أن تُخاطب واحداً وتُريد غيره، وسمي بذلك لأنك تُميل الكلام إلى جانب وأنت تشير به إلى جانب آخر، يحال النظر إليه بعرض وجهه، أي جانبه، ويقال عرضت لفلان وبفلان إذا قلت قولاً وأنت تعنيه، ومنه المعارض في الكلام"¹.

فيظهر أن التعريض يأتي بخلاف التصريح، والمقصود به أن تتكلم بشيء وأنت تريد شيئاً آخرًا.

بفضل مناهج القرآن الكريم وبلاغته أخذت العناية تنمو وتزدهر، فأيات القرآن تتلاقى في كل مكان وزمان، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تجول على كل لسان وتحفظ في القلوب والصدور، فأخذ الخلفاء، والأمراء، والولاة في المدن، والأمصار يعنون في خطبهم بتخير اللفظ، واقتباس كثير من العبارات القرآنية في أساليبهم حجة للإقناع، ووسيلة للإفهام، فكان من الطبيعي أن تنمو النظرة البلاغية في الكلام، وتتضح الملاحظات بتطور الشعر النثر، مع تطور العقلية العربية والفكر اللغوي.²

لذلك قال "أبو هلال العسكري": « إن أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ بعد معرفة الله عز وجل ثناؤه، علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى، وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأضل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب».³


أفهم من خلال قول "أبو هلال العسكري" أنه أعطى أهمية بالغة لتعلم علم البلاغة طبعاً بعد الله عز وجل فبمجرد إغفال الإنسان بمعرفة البلاغة، والفصاحة فإنه يبتعد ويتيه عن العلم بإعجاز القرآن الكريم من جهة التأليف أو النظم، وبراعة التركيب.

¹ المعارض: جمع معارض، وهو التورية والستر.

² ينظر: أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، دراسة وشرح وتحقيق: عائشة حسن فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع عبده غريب شركة مساهمة مصرية 1998، ص 53.

³ ينظر: وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، ط1 (1403هـ-1983م)، ص14/13.

³ ينظر: أبي هلال العسكري كتاب الصناعتين، ص3، نقلاً عن: وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 16.



الفصل الأول : التعريض ودلالته

تمهيد

قبل التطرق إلى عرض مفاهيم التعريض، ودلالته يجب أولاً أن أُحدد مفاهيم كلٍّ من: الأسلوب، والدلالة، والقرآن الكريم.

أولاً: تعريف الأسلوب لغةً واصطلاحاً

أ. الأسلوب لغةً

ن "الأسلوب هو الطريق الممتد، أو السطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب ويقال، أنتم في أسلوب سوء، والجمع على أساليب وهو الطريق والوجه والمذهب والفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين فيه"¹.

ن أما في المعجم الوسيط فالأسلوب هو الطريق، يُقال: سلكْتُ أسلوب فلان على كذا، طريقته، مذهبه والأسلوب طريقة الكاتب في كتابته، والأسلوب الفن، ويُقال: "أخذنا في أساليب من القول أي فنون متنوعة، والأسلوب الصف من النخيل، ونحوه، والجمع أساليب"².

أستنتج من خلال هذين التعريفين بأن الأسلوب هو مفهوم يرتبط بمعنى الطريق الممتد، والأسلوب له بعد فني يظهر من خلال أساليب القول.

ب. الأسلوب اصطلاحاً: لقد عرف "أحمد الشايب" الأسلوب بقوله: "إن تعريف الأسلوب ينصب بداهةً على العنصر اللفظي فهو الصورة اللفظية التي يُبر بها عن المعاني، أو نظم الكلام، وتأليفه لأداء الأفكار، وعرض الخيال، أو العبارات المنسقة لأداء المعاني"³.

أستنتج من هذا الكلام أن الأسلوب هو تركيب للعناصر اللفظية المعبرة عن المعاني، أو نظم الكلام.

¹ ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان 1995، ط 1، مج 1، ص 473.

² إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الأمواج، بيروت- لبنان 1995، ط 2، ص 440.

³ ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، ص 131، نقلاً عن الدكتورة مسعود بودوخة، حسين تروش، مختار ملاس، دراجي: الأسلوب ومفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية، بيت الحكمة، ط 1، ص 20.

ثانياً: تعريف الدلالة لغةً واصطلاحاً

أ. الدلالة لغةً

- ورد في لسان العرب: "ودَّله على الشيء يَدُلُّه دَلًّا ودَلَالَةً فاندَلَّ: سدَّده إليه،... والدَّلِيل: ما يُستدَلُّ به، والدَّلِيل: الدَّالُّ، وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلَالَةً ودَلَالَةً ودَلُولَةً والفتح أعلى، والدَّلِيل والدَّلِيلِي: الذي يَدُلُّك"¹.

ما يستخلص من هذا التعريف أن الدلالة يقصد بها ما دَلَّه على الشيء أي دَلَّه على الطريق .

- والدلالة يُقصد بها في المعجم الوجيز الميسر : "ما يدل عليه اللفظ عند إطلاقه جمع دلائل، ودلالات"⁽²⁾.

أستنتج من هذا التعريف أن الدلالة يقصد بها ما دل على اللفظ عند إطلاقه.

- أما الدلالة في المعجم المفصَّل في اللغة والأدب: "يُحمل الإشارات الظاهرة التي تجسد المعنى الخفي والتي بدونها لا يكون لحاجات الفكر المستترة، وجود بين المحسوس"³.

ب. الدلالة اصطلاحاً

- ذكر "التهانوي" أن الدلالة في مصطلح أهل المنطق، والأصول العربية، والمناظرة هي "أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء آخر"⁴.

أفهم من هذا التعريف أن مصطلح الدلالة كما ذكر "التهانوي" أنه يراد به معرفة شيء يلزم من العلم بشيء آخر.

- وقال "الزركشي" هي: "كون اللفظ بحيث إذا أُطْلِقَ فَهَمَّ منه المعنى من كان عالماً بوضعه له"⁵.

أستنتج من هذا القول بأن مصطلح الدلالة هو المعنى المتجسد من خلال اللفظ.

¹ ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب (دلل)، دار الحديث، ب ط، 1427 هـ - 2006 م، مج 1، ص 399.

² عبد القادر محمد الرازي، المعجم الوجيز الميسر، دار الكتاب الحديث، ط 1، 1414 هـ - 1993 م، ص 201.

³ د. إميل بديع يعقوب، ود. ميشال العاصي، المعجم المفصَّل في اللغة والأدب دار العالم للملايين، ط 1 سبتمبر 1987، مج 1، ص 634.

⁴ محمد بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، 1996، ط 1، مج 1، ص 787.

⁵ ينظر: السيوطي، الإتيان في علم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب ط، ج 1، ص 181-18.

ثالثاً: تعريف القرآن الكريم لغةً واصطلاحاً

أ. القرآن الكريم لغةً

المعنى اللغوي للقرآن الكريم اختلف فيه العلماء على أقوال:¹

- منهم من قال إنّ القرآن الكريم اسم علم غير مشتق من جذر لغوي، وغير مهموز أي (قرآن) وهو بذلك اسم اختص الله تعالى به الكتاب الذي نزل على النبي عليه الصلاة والسلام كما في أسماء الكتب الأخرى: التوراة، والإنجيل، وهذا القول منتقل عن "الشافعي" وغيره.
- من العلماء من ذهب إلى القول اسم مشتق من القرائن ، لأن الآيات يُصدق بعضها بعض ويشابه بعضها بعضاً كالقرينات، أي المتشابهات، وهذا قول "الفراء".
- قيل إنه لفظ مهموز (أي قرآن)، وهو مشتق من قرأ، ومصدر له، وهذا ما ذهب إليه "الليثاني"، وغيره.

- ذهب "الزجاج" وغيره إلى القول بأنّ القرآن وصف مشتق من القرء أي الجمع، ومثال ذلك: قرأت الماء في الحوض، أي جمعته فيه.

ب. القرآن الكريم اصطلاحاً

تعددت تعاريف العلماء للقرآن، بسبب تعدد الزوايا التي ينظر العلماء منها إلى القرآن وإن كان التعبير بأنّه الكلام المعجز كافياً، ومن جملة هذه التعاريف أذكر التعريف الآتي:

"القرآن هو كلام الله المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلّم المكتوب في المصاحف، المنقول

بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز ولو بسورة منه".²

¹ ينظر: جلال الدين السيوطي الشافعي، الإتقان في علم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب ط، ج 1، ص 181/182.

² نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح دمشق 1414هـ / 1993 1 10.

ومعنى هذا أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم ليُكونَ معجزةً مؤيدةً للنبي - عليه الصلاة والسلام- وتمثل هذا الإعجاز بما احتواه القرآن من فصاحة، وبلاغه، ونعني بالمُوحى: أنَّ القرآن الكريم بكل ألفاظه، ومعانيه مُنزل من الله تعالى على النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم بواسطة الملك جبريل -عليه السلام- ونتقرب من الله سبحانه وتعالى من خلال تلاوة القرآن الكريم فبذلك نعبده جل جلاله، ونحظى بالثواب والأجر العظيم، ونُقلَ القرآن الكريم بالتواتر فقد تلقاه الصحابة- رضوان الله عليهم- مُشافهةً من النبي صلى الله عليه وسلم، ونقلوه إلى جيل التابعين من بعدهم بحيث يجزم بصدق النقل ودقته.

القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدُها التقدم العلمي إلا رسوخاً في الإعجاز، أنزله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم الطريق المستقيم، فكان صلوات الله وسلامه عليه يُبلّغه لصاحبه فيفهمونه بسليقتهم، وإذا التبس عليهم فهم آية من الآيات سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، وقد سماه الله بأسماء كثيرة، منها:¹

"القرآن": ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾².

و"الكتاب": ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾³.

و"الفرقان": ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾⁴.

و"الذكر": ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁵.

نستنتج أن لفظة القرآن هي أشهر أسماء القرآن الكريم، والقرآن بوصفه كلام الله يجب الإيمان به، واتباعه، والحذر من مخالفته وعصيانه.

¹ ينظر: مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة 2000 11 16 /5

² سورة الإسراء، الآية:9.

³ سورة الأنبياء، الآية:10.

⁴ سورة الفرقان، الآية:1.

⁵ ، الآية:9.

المبحث الأول: تعريف التعريض لغةً واصطلاحاً، والألفاظ ذات الصلة به

أولاً: تعريف التعريض لغةً واصطلاحاً

1. تعريف التعريض لغةً

"التعريض: خلاف التصريح، وجعل الشيء عريضاً، وأن يصير ذا عارضة في الكلام، وأن يشجع الكاتب ولا يبين"¹.

أفهم من هذا القول أن التعريض هو خلاف الكشف، والتصريح بحيث يُبلغ الكاتب فكرته دون إبانة .

"والتعريض: خلاف التصريح، لعله من: عَرَضَ -بالشد- جعله عريضاً، فهو: ما توسع في دلالاته، فصار له وجهان: ظاهر، وباطن"².

أستنتجُ من خلال هذا القول بأن التعريض يأتي بخلاف التصريح، فينتقل التعريض إلى التوسع في الدلالة فيصبح للكلام ظاهر، وباطن .

المعارض: جمع معراض من التعريض، وهو خلاف التصريح من القول يُقال: عرفت ذلك في معراض كلامه، ومعرض كلامه بحذف الألف، وفي لحن كلامه، وفحوى كلامه، والمعارض التورية، وأصله الستر، وعرضت له وعرضت به تعريضاً إذا قلت قولاً عاماً وأنت تعنيه، والمعارض في الكلام هي التورية بالشيء عن الشيء"³.

أفهمُ من هذا القول أن التعريض هو خلاف التصريح من القول، ولحن الكلام وفحواه، والمعارض التورية والمقصود به الستر، وعدم الكشف.

هذا هو مفهوم التعريض كما حددته معاجم اللغة المأخوذة من استعمالات مادته في كلام العرب.

¹ القاموس المحيط، نقلاً عن: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، دار البصائر، القاهرة، ط1، 1425هـ-2004م، ص17.

² معجم ألفاظ القرآن الكريم، نقلاً عن: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع نفسه، ص17.

³ ينظر: عماد أموري جليل: حكم معارض الكلام في الفقه الإسلامي، مجلة الفتح، 2007م، العدد الثلاثون، ص1.

2. تعريف التعريض اصطلاحاً

في اصطلاح البلاغيين: " التعريض هو لمعنى الحاصل عند اللفظ لا به"¹.

فجملة "المعنى الحاصل عند اللفظ" شامل للحقيقة، والمجاز، والكناية، وقولنا: "لابه" مخرج لهذه جميعاً، لأن الحقيقة والمجاز والكناية يُدل عليها بالألفاظ فهي حاصلة عند ذكر الألفاظ وبها، وعلى هذا فالتعريض: أن يفهم من اللفظ معنى بالسياق والقارئ من غير أن يقصد استعمال اللفظ فيه أصلاً ولذلك يكون لفظ التعريض حقيقة تارة، كما إذا قيل: لست أتكلم أنا بسوء فيمقتني الناس، وأريد إفهام أن فلاناً ممقوت لأنه كان تكلم بسوء، فالكلام حقيقة.

ويكون التعريض مجازاً نحو قولك لشخص ليس له رأي (لا قيمة لرأيه) "قطعت جهيزة قول كل خطيب" هذا المثل استعارة تمثيلية، يضرب لمن يأتي بالقول الفصل، فإن قلت هذا المثل لإنسان لا قيمة لرأيه كان تعريضاً بالأسلوب المجازي بمعونه السياق، وقارئ الأحوال.

ويكون التعريض بالأساليب الكنائية نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾².

هذه الآية الكريمة عبارة عن كناية تنفي خشية الله من غير العلماء، فإذا قتلها لشخص ليس من أهل اللغة كان تعريضاً بعدم خشيته، بمساعدة القارئ والأحوال لقد نقل البلاغيون والمفسرون مفهوم التعريض، وجعلوه مصطلحاً، وتسمية يطلقونها على أسلوب بعينه يمتاز من غيره بخصائص دلالية، وفنية.

فمن مقولات المفسرين، يقول "ابن جرير الطبري" - رحمه الله تعالى - : " وأما التعريض فهو ما كان من لحن القول الذي يفهم به السامع الفهم ما يفهم بصريحه"³.

¹ شرح نهج البلاغة 63/5، نقلاً عن أبي منصور عبد المالك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، دراسة وشرح وتحقيق: عائشة حسن فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع عبده غريب شركة مساهمة مصرية، 1998، ص 54.

² سورة فاطر، الآية: 28.

³ جامع البيان: 320/2، نقلاً عن: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، ص 19.

تكشف لنا عبارة "ابن جرير الطبري" عن عدّة سمات للتعريض، وهي عناصر داخلية في مفهومه:

1- هو من لحن القول دون صريحه يستلزم قدراً من خفاء دلالاته دون وجود مانع من فهم المواد منه.

2- هو صريح لأن يفهم منه ما يفهم من صريح القول.

3- هو يعتمد في فهمه على ذكاء السامع وفطنته.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾¹.

يظهر أن القصد في هذه الآية هو عدم التصريح، أو عدم الإفصاح، إذ يُحرم أن يصرح بالخطبة لمعتدة من وفاة باتفاق المفسرين، والفقهاء.

ثانياً: الألفاظ ذات الصلة بالتعريض

1. الكناية

أ. تعريف الكناية لغةً: "الكناية لغةً أن نتكلم بشيء ونريد غيره"، يقال: كنى عن الأمر بغيره، يكني كناية، إذا تكلم مما يستدل عليه². مأخوذ من الستر، والتغطية.

أفهم من هذا الكلام أن الكناية لغةً أن نتكلم بشيء، ونقصد شيئاً آخر، وهي مأخوذة من الستر أي أن فيها سترًا للاسم، وإظهاراً لشيء آخر.

ب. تعريف الكناية اصطلاحاً: "الكناية في الاصطلاح أن تريد المعنى وتعبر عنه بغير لفظه"³ كأن تريد إثبات الكرم لإنسان ما، ولكنك تعبر عنه بغير اللفظ الموضوع له، فتقول مثلاً: كثير الرماد.

معنى هذا أن كثرة الرماد لم توضع لمعنى الكرم.

¹ سورة البقرة، الآية: 235.

² ينظر: لسان العرب، مادة كنى نقلاً عن: عبد العزيز بن صالح العمّار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية، سلسلة محكمة تصدر عن جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1427هـ - 2006م، ص 97.

³ ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة وفنونها وأفنانها علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط9، 2004م، ص 247.

ومن تم عُرفت الكناية بأنها: " لفظ أُطلق وأُريد به لازم معناه الحقيقي مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المراد"¹.

فكلمة "لفظ": يشمل الحقيقة، والمجاز، والكناية، "وأُريد به لازم معناه": يُخرج الحقيقة، لأن الحقيقة لفظ يُراد به معناه الأصلي، وخرج بقيد "مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المراد"، أما "المجاز": فلا بد فيه من قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي مع المعنى المجازي، ويتوضح ذلك بالمثال الآتي: رأيت قمراً يضحك، فلا يجوز هنا أن يُراد منه القمر الحقيقي، وهو الكوكب المضيء ليلاً في السماء لأن فيه قرينة تمنع من ذلك هي "يضحك" فالضحك هو من شأن الإنسان، وهذا هو أساس الفرق بين المجاز والكناية².

ومن خلال ما تقدم يتبين أن الكناية لابد لها من أركان ثلاثة وهي:

1. اللفظ الممكن به.

2. المعنى الممكن عنه.

3. القرينة التي تجعل المعنى الحقيقي غير مراد سواء كانت هذه الإرادة ممكنة أم غير ممكنة.

كتاب الله هو منتهى البلاغة، وهو أعلى طبقات البيان، ولأسلوب الكناية من ذلك نصيب وافر، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى منفراً من البخل، وناهياً عن التبذير: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾³.

حسب تفسير "السعدي" في كتابه "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، للآية الكريمة ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ يقول "السعدي"⁴: هي كناية عن شدة الإمساك، والبخل. ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ فتتفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ أي: إن فعلت

¹ ينظر: أبي منصور عبد المالك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، نفس المرجع السابق، ص 21.

² ينظر: المصدر السابق، ص نفسها.

³ سورة الإسراء، الآية: 29.

⁴ ينظر: أبو عبد الله بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط 2، 1436 هـ - 2010 م، ص 480.

ذلك تلام على ما فعلت، و ﴿مَحْسُورًا﴾ أي: حاسر اليد فارغها، فلا يبقى ما في يدك من المال ولا خلفه مدح وثناء. لقد أتيت بهذه الأمثلة، أو الشواهد القرآنية لمحاولة التفرقة بين التعريض والكناية في وجوه ثلاثة وهي:¹

أولاً: أنَّ لکنایة واقعة في المجاز معدودة منه، بخلاف التعريض فلا يعد منه لأن التعريض مفهوم من جهة السياق، فلا تعلق له باللفظ، لا من جهة حقيقية ولا من جهة المجاز.

وثانياً: أنَّ الكناية تقع في اللفظ المفرد والألفاظ المركبة، بخلاف التعريض فإنه لا موقع له في اللفظ المفرد، ولكنه ينشأ من جهة التركيب.

وثالثاً: أن التعريض أخفى من الكناية، لأن دلالة الكناية مدلول عليها من جهة اللفظ، بخلاف التعريض فإنما دلالته من جهة القرينة والإشارة (السياق) ومن أجل هذا فإن علماء الشريعة فرقوا بين صريح القذف، والكناية، وتعريضه فأوجبوا في الصريح من القذف الحد مطلقاً في قول القاذف: يا زاني، وأوجبوا في كناية الحد إذا نوى به، في مثل قول القاذف يا فاعلاً بأمه، ويا مفعولاً به، ولم يوجبوا في التعريض الحد في مثل قوله: يا ولد الحلال، وما ذلك إلا لأجل أن الصريح، والكناية يدلان على القذف من جهة اللفظ إما بالحقيقة، أو بالمجاز، والتعريض أخص من الكناية، فكل تعريض كناية، وليس كل كناية تعريضاً.

أفهم من هذا أن الكناية هي أعم من التعريض.

2. التورية: وهي أن تطلق لفظاً ظاهراً في معنى، وتريد به معنى آخر يتناول ذلك اللفظ لكنه خلاف ظاهره، وأصل التورية الستر².

وقاعدة التورية: "أن يذكر المتكلم لفظ مفرداً له معنيين، قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي هو المراد"³.

¹ ينظر: أبي منصور عبد المالك بن محمد بن إسماعيل النعالي النيسابوري، الكناية والتعريض، المرجع السابق، ص 64-65.

² ينظر: أبي منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت 1956، مج 7، ص 165، نقلاً عن: عماد أموري جليل، معارض الكلام في الفقه الإسلامي، المجلة السابقة الذكر، ص 1.

³ ينظر: علي الجازم، ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع للمدارس الثانوية، دار المعارف، لندن، د ت، د ط، ص 277.

أفهم من هذا الكلام أن المقصود بالتورية أن يذكر المتكلم لفظاً، وهذا اللفظ يتضمن معنيين معناً ظاهراً غير مراد، ومعناً بعيداً خفياً هو المراد أو المقصود، والأصل في التورية الستر، والفرق بين التعريض المذكور سابقاً، والتورية هي أن فائدة التورية تراد من اللفظ، فهي أخص من التعريض، الذي يفهم المراد منه من خلال السياق القرائن، وبالتالي فإن التعريض أعم من التورية. والتورية نوع من البديع، وهو فنُّ برع فيه شعراء مصر، والشام في القرن السابع والثامن من الهجرة، وأتو فيه بالعجيب الرائع الذي يدل على صفاء الطبع والقدرة على اللعب بأساليب الكلام¹. والتورية: "وهو أن يُعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردّها بعينها، ويردّها بمعنى آخر"². و المقصود بالتورية أن يطلق المتكلم لفظة ومن وراء هذه اللفظة يريد معناً آخرّاً خفياً يفهم من خلال الكلام.

وحتى يتضح مفهوم التورية أذكر بعض الأمثلة لتفي بالغرض ومن بينها: يقول "الماوردي" - رحمه الله - في كتابه "أدب الدنيا والدين": "وردت السنة بترخيص الكذب في الحرب، وإصلاح ذات البين، على درجة التورية دون التصريح به، فإن السنة لا ترد بإباحة الكذب؛ لما فيه من التنفير، وإنما ذلك على طريق التورية والتعريض، كما سئل صلى الله عليه وسلم: ممن أنت؟ قال: {من الماء}، فوري عن الإخبار بنسبه بأمر محتمل، وكما في إجابة أبي بكر - رضي الله عنه - عندما سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هاد يهديني السبيل، فظنوا أنه يعني: هداية الطريق، وهو إنما يُريد هداية السبيل الخيّر"³.

يجب أن نضع في الحسبان أن التورية إذا تركت، وأطلقت عبارة الكذب، حفاظاً على الأرواح أن تزهق، أو الأموال أن تسلب، أو الأعراض أن تنتهك، فليس بحرام، وفي ذلك يقول "الجاحظ": "ما لم يكن لدفع مضرة لا يمكن أن تدفع إلاّ به، أو اجترار نفع لا غنى عنه، ولا يتوصل إليه إلاّ به، فإن الكذب عند ذلك ليس بمستقبح؛ وإنما يُستقبح الكذب إذا كان عبثاً، أو لنفع يسير لا خطر له"⁴.

¹ ينظر: علي الجازم، ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع للمدارس الثانوية، المرجع نفسه، ص 277.

² ينظر: شمس الدين أبي عبد الله محمد المعروف بابن القيم الجوزية الحنبلي، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني، مصر، ط 1، 1327هـ، ص 139.

³ ينظر: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، دار إقرأ، ط 4، 1405هـ-1985م.

⁴ عثمان عمر وبن بحر الجاحظ، تهذيب الأخلاق، قرأه وعلق عليه: أبو حديفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث بطنطا، 1410هـ/1989م، ط 1، ص 32.

نوعا التورية

التورية على قسمين¹ أولهما: مرشحة، وثانيها: مجردة، فالمرشحة هي التي ذكر معها ما يلائم المعنى القريب، وسميت بذلك لتقويتها به، لأن القريب غير مراد، فكأنه ضعيف، فإذا ذكر لازمه تقوى به نحو قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾².

المراد من اليد الذلة، وقد اقترنت بالإعطاء الذي يناسب المعنى القريب وهو العضو.

أما المجردة فهي التي لم يذكر معها ما يلائم المعنى القريب كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾³.

أراد بقوله جرحتم معناه البعيد، وهو ارتكاب الذنوب، ولأجل هذا سميت التورية إيهاماً وتخبيلاً.

ومن أمثلتها أيضاً⁴: أن سيدنا أبو بكر رآه رجل مع الرسول عليه الصلاة والسلام وهما في طريق الهجرة فقال لهما من أنتما؟ فقال سيدنا أبو بكر: باغ، وهاد فكلمة (باغ) لها معنيين أنه يبغى الإبل، وهو معنى قريب غير مراد، والثاني أنه ضال يبغى الهداية، وهو معنى بعيد مقصود، وكلمة (هاد) كذلك لها معنيان قريب غير مراد وهو أنه يهديه إلى طريق الإبل، والثاني أنه يهديه إلى الحق من الهداية التي هي ضد الضلال وهو المعنى المراد.

¹ ينظر: السيد أحمد هاشمي بك، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تحقيق الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، 1434هـ/2013م، ص407/408.

² سورة التوبة، الآية : 29.

³ سورة الأنعام، الآية : 60.

⁴ ينظر: رمضان القسطاوي الأساس- المنجد في البلاغة، دار أطفالنا للنشر والتوزيع، 2016م، ص 121.

المبحث الثاني: دلالة التعريض

المقصود بدلالة التعريض

الدلالة التعريضية وهي دلالة الكلام على المعنى التعريضي دون غيره مما قد يكون من دلالات اللفظ؛ هناك دلالة اللفظ على معناه الحقيقي وضعاً، ودلالته على معناه المجازي تأويلاً بواسطة قرينة مانعة من إرادة معناه الحقيقي، ودلالته على معناه الكنائي تأويلاً لكن بواسطة قرينة غير مانعة من إرادة معناه الحقيقي تلك وجوه للدلالة¹.

دلالة التعريض نسوق الكلام لغير مذكور، وبالتالي فهي دلالة سياقية (مقامية)، أما دلالة الحقيقة والمجاز والكناية فهي دلالة لفظية.

يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا (61) ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِغَاهِئَتِنَا يَتَّبِرَٰهُمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63)﴾².

هذه الآية الكريمة هي عبارة عن تعريض عند جمهرة المفسرين، ومنهم "الزمخشري"، و"الرازي"، و"النيسابوري"، و"أبو السعود"، وقد ساقها "السبكي" شاهداً على التعريض، فيما نقله "السيوطي" عنه.

لقد سخر إبراهيم عليه السلام، واستهزأ بالمشركين من عقولهم وذلك من أمرين هما:³

أولهما: أنه لم يرد نسبة الفعل إلى كبير الأصنام، وإنما قصد تقريره لنفسه برمز خفي يبلغ به إلزام الحجة لهم، كأنه قال لهم: يا ضعفاء العقول كيف تعبدون مالا ينطق إن سئل، وتجعلونه شريكاً لمن له الخلق والأمر سبحانه وتعالى.

¹ ينظر: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 42/41.

² سورة الأنبياء، الآيات: 60، 61، 62، 63.

³ ينظر: أبي منصور عبد المالك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، المصدر السابق، ص 56.

ثانيهما: أن يقال إن كبير الأصنام غَضِبَ لما عبد معه غيره من هذه الأصنام فكسرها، وفرض إبراهيم — عليه السلام — بذلك أن يعرض بهم في كونهم قد أشركوا في العبادة من هو دون الله، وإنَّ من دونه مخلوق حقير من مخلوقاته.¹

هذا التعريض الوارد في الآية الكريمة لم يدل عليه اللفظ، بل دل عليه السياق وقرائن الأحوال.

¹ ينظر: أبي منصور عبد المالك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، المصدر السابق، ص56.

المبحث الثالث: أهمية عناصر الدلالة في أسلوب التعريض

من أجل تحليل أساليب التعريض وجب عناصر ثلاثة تتضافر معاً على صنع المعنى التعريضي وهي العبارة، والسياق الذي يكتنفها، ثم المقام الذي ترد فيه بوصفها حدثاً لغوياً.

أولاً: العبارة في أسلوب التعريض

العبارة لا دلالة لها من حيث هي لفظ دال على المعنى التعريضي؛ فالمعنى التعريضي دلالة استتباعية تفهم عن اللفظ سياقاً.

سأورد مثلاً يدل على تعريض قوم نوح بأنه - عليه السلام - ليس أحق منهم بالرسالة ويتجلى ذلك حين قال نوح - عليه السلام - لقومه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ¹ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26)¹.

أستنتج أن العبارة لا دلالة لها لا حقيقةً، ولا مجازاً، ولا كنايةً، فكل ما أخذ من دلالات هنا: تحديد نظرهم بأنه سوى بشر مثلهم، ولا فضل له، ولا لأتباعه عليهم.

العبارة التعريضية متعددة الدلالات ذات مستويين من الدلالة، أو أكثر فهي تدل على معناها بطريق من طرق الدلالة الثلاثة: الحقيقة، والمجاز، والكناية، وهذه دلالة لفظية. تم تدل على المعنى التعريضي دلالة سياقية، لا تؤخذ من ذات العبارة².

وفي قول نوح - عليه السلام -: ﴿رَبِّ إِنِّي أَنبِئُ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾³.

يتضمن هذا القول حقيقة مؤداها أن سيدنا نوح - عليه السلام - يُعرض بسؤال عن حكمة الله في غرق ابنه مع وجود موجبات نجاته، وهنا نجد أن التعريض يلتقي والحقيقة في كلام واحد، والحقائق

¹ سورة هود: 25، 26.

² ينظر: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 82.

³ سورة هود، الآية: 45.

الثلاث التي تضمنها قوله حيرة لا يعصم منها الإيمان الواثق بوعد الله الموقن بحكمته حتى وإن خفي وجهها على عقل المؤمن.

كما نجد باباً آخر للتعريض حيث يلتقي والمجاز، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ^ط وَالَّذِي حَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا^ج كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ¹﴾.

ويقول "الزمخشري": "وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر، وإنزاله بالبلد الميت، وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد"².

الآية الكريمة تظهر أنها مجاز (استعارة تمثيلية) توضع تحت باب التعريض.

أما في باب إلقاء التعريض، والكناية يتجلى ذلك في قول الله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ⁽³⁾﴾.

ما لمسته من خلال هذه الآية احتوائها على ثلاث كنايات: كناية عن خضوع أهل سبأ لسلطان بلقيس "تملكهم"، وكناية عن بسطة الملك، وسعة السلطان "أوتيت من كل شيء"، وكناية عن الآلهة وفخامة الشأن "ولها عرش عظيم"، فما تخفيه هذه الكنايات الثلاثة هو تعريض من الهدهد بسليمان عليه السلام.

ثانياً: السياق في أسلوب التعريض

السياق هو: "الإطار اللفظي، الذي تقع داخله عبارة التعريض، فيكتنفها من بين يديها ومن خلفها، ويتفاعل معها بما يضمه من قرائن لفظية، فيحملها طاقات دلالية جديدة، لم تكن لتحملها لولاه، وتكون بذلك المعنى التعريضي"⁴.

¹ سورة الأعراف، الآية: 58.

² ينظر الكشف: 552/1، نقلاً عن: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 84.

³ سورة النمل، الآية: 23.

⁴ ينظر: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 99.

المتأمل لقصة سيدنا يوسف - عليه السلام- يرى بأن الواقعة وكأَنَّها حدثت الآن بكل ما يلبسها من زمان، ومكان، وأشخاص. فدعوني أقص عليكم قول يوسف -عليه السلام- الذي جاءه رسول الملك يدعوه من سجنه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ¹ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ² إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ³﴾.

يظهر أن سيدنا يوسف - عليه السلام- أراد أن يحتفظ بقصته سرّاً دون أن يخبر هذا الرسول، فتستر عن امرأة العزيز وإن دل هذا على شيء فإنما دل على أن يوسف -عليه السلام- عرض، وقد فهم الملك ما عرض به، فأبى أن يسأل النسوة عن حالهن بعد تقطيع أيديهن، فتنشأ نوع من المحاكمة يجمع فيها الملك الشهود (المتهمين)، ويسألهم عن قضية سيدنا يوسف الذي يتهم، وهو مظلوم ويمضي في السجن بضع سنين، لينتهي المطاف باعتراف امرأة العزيز، وما يدل على ذلك الآية الكريمة: ﴿الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَودُتُهُ عَن نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ⁴﴾.

فتظهر براءة سيدنا يوسف -عليه السلام- فلولا هذا السياق ما حملت هذه العبارة هذا المعنى التعريضي.

يجب أن نقف عند ملاحظة مهمة وهي أن القرآن كله سياق لكل آية، ولكل عبارة فيه. وعلينا أن ننظر إلى القرآن على أنه كلام واحد من فاتحته إلى خاتمته.

يظهر أن للسياق وظيفة أخرى أنه وسيلة لاسترجاع المقام مما يعين على فهم المعنى التعريضي³.

ثالثاً: المقام في أسلوب التعريض

المقام هو: "الإطار غير اللفظي للعبارة التعريضية، وهو سياق خارجي من قرائن غير اللفظية، يحفّ بالعبارة، بوصفها حدثاً لغوياً، يقع في موقف ما. وهو ما يعني جملة الملابس التي تحيط بالحدث اللغوي، ومن بين هذه الملابس: الزمان، والمكان، والأشخاص"⁴.

¹ سورة يوسف، الآية: 50.

² سورة يوسف، الآية: 51.

³ ينظر: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 105.

⁴ ينظر: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع نفسه، ص 121.

يُظهر أن المقام ذو بعد اجتماعي، يؤثر في دلالتها على الرغم من انفصاله عنها.

أول ما يرد في مقام الاستدلال هو أهميته كعنصر دلالي عموماً، وفي دلالة التعريض خاصة في أسباب النزول، وهناك شواهد قرآنية عديدة تكشف لنا عن دور المقام في الدلالة بوجه عام.

وسأوردُ مثلاً ليتضح الأمر بالاستناد لتفسير القرآن العظيم "لابن كثير"¹ قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود الهاشمي، أخبرنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: قلت: رأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾²، قلت: فو الله ما على أحد جناح أن لا يطَّوَّفَ بهما؟ فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أخي إنما لو كانت على ما أولتها عليه كانت: فلا جناح عليه أن يطَّوَّفَ بهما، ولكنها إنما أنزلت لأنَّ الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، وكان من أهل لها يتخرج أن يطَّوَّفَ بالصفاء والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتخرج أن نطَّوَّفَ بالصفاء والمروة في الجاهلية، أخرجها في الصحيحين.

وفي رواية عن الزهري أنه قال: فَحَدَّثْتُ ذَا الْحَدِيثِ أَبَا بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ، مَا كُنْتُ سَمِعْتُهُ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رِجَالاً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ - إِلَّا مِنْ ذَكَرْتُ عَائِشَةَ - يَقُولُونَ: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ طَوَافِنَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَالَ آخَرُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ: إِنَّمَا أُمَرْنَا بِالطَّوَّافِ بِالْبَيْتِ، وَلَمْ نَوْمَرْ بِالطَّوَّافِ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ ۖ﴾³ فقال أبو بكر بن عبد الرحمن: فلعلها نزلت في هؤلاء وهؤلاء.

ورواه البخاري من حديث مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، بنحو ما تقدم ثم قال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن عاصم بن سليمان قال: سألت أنساً عن الصفا والمروة قال: كنا نرى ذلك من أمر الجاهلية فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله عز وجل الآية الكريمة.

¹ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1 (1418هـ-1997م)، ط2 (1420هـ-1999)، ج1، ص470/469.

² سورة البقرة، الآية: 158.

³ سورة البقرة، الآية: 158.

وذكر "القرطبي" في تفسيره عن ابن عباس قال: كانت الشياطين تُفرق بين الصفا والمروة الليل كله، وكانت بينهما آلهة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطواف بينهما، فنزلت هذه الآية.

وفي صحيح مسلم حديث جابر الطويل، وفيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه بالبيت، عاد إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من باب الصفا والمروة، وهو يقول: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾¹ ثم قال: "ابدأ بما بدأ الله به"، وفي رواية النسائي: «ابدؤوا بما بدأ الله به».

وقال الإمام أحمد: حدثنا شريح، حدثنا عبد الله بن المؤمل، عن عطاء بن أبي رباح، عن صفية بنت شيبة، عن حبيبة بنت أبي تجرة، قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه، وهو وراءهم، وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي يدور به إزاره، وهو يقول «اسعوا، فإن الله كتب عليكم السعي»، ثم رواه الإمام أحمد، عن عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن واصل - مولى أبي عيينة - عن موسى ابن عبيدة، عن صفية بنت شيبة، أن امرأة أخبرتها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة يقول: «كتب عليكم السعي، فاسعوا»².

أفهم من خلال ما تقدم من روايات في سبب نزول الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾³ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا³، أن شعائر الله واجبة مما شرع الله تعالى لإبراهيم الخليل في مناسك الحج، كما أن النبي عليه الصلاة والسلام طاف بينهما.

فَهُمْ عُرُوهُ - رضي الله عنه - يجعل السعي بين الصفا والمروة من المباح الذي لا حرج في تركه، وقد خطأت عائشة - رضي الله عنها - هذا الفهم "بئسما قلت ابن أخي" وصححته له، وكانت عدتها وأداتها في هذا التصحيح أن ذكرت له سبب النزول، وشرحت له المقام الذي نزلت فيه الآية، فإن كانت عائشة - رضي الله عنها - قد استندت في فهمها على ما في صدر الآية: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ

¹ سورة البقرة، الآية نفسها.

² أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 1، المصدر السابق، ص 470/471.

³ سورة البقرة، الآية: 158.

شَعَائِرِ اللَّهِ¹ فتكون قد استندت في فهمها على السياق سواء قلنا هذا أم ذاك فلا مندوحة لنا من الرجوع إلى المقام².

¹ سورة البقرة، الآية نفسها.

² ينظر: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص123.

المبحث الرابع: مشروعية وحكم معاريض الكلام في القرآن الكريم

أولاً: مشروعية معاريض الكلام

وردت الآية 235 من سورة البقرة الدالة على مشروعية معاريض الكلام كما تجلّى ذلك في السنة النبوية، وكذلك قول السلف¹، وما يهمني هو مشروعية معاريض الكلام في القرآن الكريم.

أباح الله سبحانه وتعالى استخدام المعارض، وما يثبت ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾².

تدل هذه الآية الكريمة على أن الله سبحانه وتعالى قد رفع الإثم عن استعمال التعريض بخطبة النساء المعتدات من وفاة أزواجهن.

يقول "جار الله الزمخشري": "فيما عرضتم به: هو أن يقول لها: إنك لجميلة، أو صالحة، أو مرغوب فيها، ومن غرضي أن أتزوج، وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة، ونحو ذلك من الكلام الموهوم أنه يريد نكاحها، حتى تحبس نفسها عليه، إن رغبت فيه، ولا يصرح بالنكاح فيقول: "إني أري أن أنكحك، أو أتزوجك، أو أخطبك"⁽³⁾.

ما دام الله سبحانه وتعالى أباح خطبة النساء المعتدات عن وفاة أزواجهن تعريضاً، بعدما تبين حكمها بناءً على هذا الفرق اللغوي الدلالي بين التعريض والتصريح، فقد وجب تعميم هذا الحكم الشرعي بعد تعميمه لغةً، بأنه التعريض غير التصريح.

¹ ينظر: عماد أموري جليل، حكم معاريض الكلام في الفقه الإسلامي، المجلة السابقة الذكر، ص 1.

² سورة البقرة، الآية: 235.

³ ينظر: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 25/24.

ثانياً: حكم معارض الكلام

يختلف حكم التعريض بحسب موضوعه كما يأتي¹:

أ. بالنسبة لحكم التعريض بالخطبة: يختلف حكم التعريض بالخطبة، وذلك باختلاف حال المخطوبة، وهي كما يأتي:

1. التعريض لمخطوبة الغير: اتفق الفقهاء على تحريم التعريض لمخطوبة الغير.

2. التعريض بخطبة المعتدة الرجعية: اتفق الفقهاء على تحريم التعريض بخطبة المعتدة الرجعية، وحجتهم في ذلك:

أنها في معنى الزوجية لعودها إلى النكاح بالرجعة، ولأن النكاح الأول قائم.

3. التعريض بخطبة المعتدة المتوفى عنها زوجها: اتفق الفقهاء على أن يجوز التعريض بخطبة المعتدة المتوفى عنها زوجها، ليفهم مراد المعرض بالخطبة لا ليجاب، وحجتهم في ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾².

أفهم من هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أباح التعريض بخطبة المعتدة المتوفى عنها زوجها.

4. التعريض بخطبة المعتدة البائن:

فما يخص حكم التعريض بخطبة المعتدة البائن فقد اختلف فيه العلماء على مذهبين:

● المذهب الأول: يجوز التعريض بخطبة المعتدة البائن، وإليه ذهب: المالكية، والشافعية، والحنابلة، والأحناف، وكانت حجتهم في ذلك:

1. عموم قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾³.

¹ ينظر: عماد أموري جليل، حكم معارض الكلام في الفقه الإسلامي، المجلة السابقة الذكر، ص 3.

² سورة البقرة، الآية: 235.

³ سورة البقرة، الآية نفسها.

2. ما رُوي عن فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها- «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها لما طلقها زوجها ثلاثاً: إذا حللت فأذيني»، وفي لفظ «لا تسبقيني بنفسك»، وفي لفظ «لا تفوتينا بنفسك»، وهذا تعريض بخطبتها في عدتها¹.

3. و لإنقطاع سلطة الزوج عليها.

● **المذهب الثاني:** لا يجوز التعريض بخطبة المعتدة البائن، وإليه ذهب الحنفية، وهو مقابل الأظهر عن الشافعية، وحجتهم هي:²

1. إنه لا يجوز للمعتدة من طلاق الخروج من منزلها أصلاً بالليل، ولا بالنهار، فلا يمكن التعريض على وجه لا يقف عليه الناس، والإظهار بذلك بالحضور إلى بيت زوجها قبيح.
2. إن تعريض المطلقة اكتساب عداوة وبغض فيما بينها، وبين زوجها، إذن العدة من حقه بدليل أنه إذا لم يدخل بها لا تجب العدة.

مدو أن الأدلة التي استدل بها العلماء في المذهب الأول تبدو راجحة وذلك لأن المرأة المطلقة إذا بانت حلت لكل من أراد خطبتها والزواج بها بعد العدة فيجوز التعريض بخطبتها، والتصريح بها بعد انتهائها.

5. التعريض بخطبة المعتدة من نكاح فاسد أو فسخ:

فما يخص التعريض بخطبة المعتدة من نكاح فاسد أو فسخ، فقد اختلف الفقهاء في حكمه و يظهر هذا النوع كالمعتدة من لعان أو ردة، أو المستبرة من الزنى، أو التفريق لعيب، أو عنة، على مذهبين:³

المذهب الأول: يجوز التعريض لهن؛ أخذ بعموم الآية، وقياساً على المطلقة ثلاثاً، وأن سلطة الزوج قد انقطعت.

أما المذهب الثاني: فإن حكم التعريض يختلف بحسب ما يترتب عليه، فإن كان يؤدي إلى عداوة المطلق فهو حرام، وإلا فلا، وإليه ذهب بعض الحنفية.

¹ الروايات كلها في صحيح مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص114، نقلاً عن: عماد أموري جليل، حكم معارض الكلام في الفقه الإسلامي، المجلة السابقة الذكر، ص4.

² ينظر: عماد أموري جليل، حكم معارض الكلام في الفقه الإسلامي، المجلة نفسها، ص4.

³ ينظر: عماد أموري جليل، حكم معارض الكلام في الفقه الإسلامي، المجلة نفسها، ص4.

إن ما ذهب إليه جمهور الفقهاء في المذهب الأول رأي راجح، لقوة ما استدلو به، ولأن سلطة الزوج انقطعت بالفسخ كالطلاق البائن، فكما أن المعتدة من طلاق البائن يجوز التعريض بخطبتها، فكذلك هذه.

ب. بالنسبة لحكم التعريض بالقذف: اختلف الفقهاء في وجوب الحد بالتعريض بالقذف على مذهبيين¹:

■ المذهب الأول: لا حد بالتعريض بالقذف كقوله: يا ابن الحلال، وأما أنا فلست بزنان، وأمي ليست بزانية، فهذا كله ليس بقذف، وهذا ما ذهب إليه: ابن حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وابن حنيفة، وحجتهم في ذلك:

1. إنه لما ثبت أنَّ المراد بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾².

هذا رمي بالزنا لم يجز إيجاب الحد على غيره، وإنما طريقها الاتفاق، أو التوقيف، وذلك معدوم في التعريض.

2. ولأن الله أباح التعريض فيما حرم عقده، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾³.

جعل التعريض خلاف التصريح فلا يحد إلا بقذف التصريح.

3. ما صح عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : «أن رسول الله عليه وسلم جاءه أعربي ، فقال : يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاماً أسود. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل لك من إبل ؟ قال : نعم. قال : ما ألوانها؟ قال : حمر. قال: هل فيها من أورك*؟ قال: نعم. قال: فأني كان ذلك؟. قال : أراه عرق نزعته. قال: فلعل ابنك هذا نزعته عرق».

¹ ينظر : عماد أموري جليل، حكم معارض الكلام في الفقه الإسلامي، المجلة السابقة، ص5.

² سورة النور، الآية : 4.

³ سورة البقرة، الآية: 235.

* أورك: ما كان في لونه بياض مائل إلى السواد.

أفهم من هذا القول بأن الرجل ينفي هذا الولد عنه، وهو بهذا لم يلزمه النبي صلى الله عليه وسلم حد، ولا غيره، فالنبي صلى الله عليه وسلم أدرك مُرادَ الرجل على الفور فأراد أن يطمئنه أن هذا التباين الحاصل في لون البشرة جائز عقلاً، وله في الواقع شواهد ونظائر، وهذا الاختلاف لا يبيح له نفي نسب الولد إليه.

4. إن تصور معنى القذف بهذا اللفظ فهو بطريق المفهوم، والمفهوم ليس بحجة.

5. لأن كل كلام يحتمل معنيين لم يكن قذفاً، كقوله: يا فاسق.

■ **المذهب الثاني:** إن في التعريض بالقذف الحد، وإليه ذهب: المالكية، وهو القول الآخر عن أحمد، وحجتهم هي:¹

1. ما روي عن يحيى بن سعيد عن أبي الرجال عن أمه عمرة قالت: (استب رجلان) فقال أحدهما: ما أُمي بزانية، وما أبي بزنا، فشاور عمر القوم، فقالوا: مدح أباه وأمه، فقال: لقد كان لهما من المدح غير هذا فضربه.

2. ما روي عن معاوية بن قرة: «أن رجلاً قال لرجل: يا ابن شامة الوذر*، فاستعدى عليه عثمان بن عفان، فقال: إنما عنيت به كذا وكذا، فأمر به عثمان بن عفان فجلد الحد».

يعرض له بزنا أمه، ويقصد بالوذر قدر اللحم.

3. إنه قول يفهم منه القذف، فوجب فيه الحد كالتصريح. وقد يكون في بعض المواضع أبلغ من التصريح في الدلالة على المراد.

4. لأن الكناية مع القرينة الصارفة إلى أحد محتملاتها، كالصريح الذي لا يحتمل إلا ذلك المعنى.

يظهر أن المذهب الأول هو الراجح، لأن التعريض بالقذف ليس قذفاً يُوجب الحد، أما القذف الصريح فيُوجب الحد.

¹ ينظر: عماد أموري جليل، حكم معارض الكلام في الفقه الإسلامي، المجلة السابقة الذكر، ص 6.

* الوذر: يقصد به قدر اللحم



الفصل الثاني:

بلاغة التعريض ودلالته في القرآن الكريم

تمهيد

التعريض في اللغة ضد التصريح، أما من جهة الاصطلاح فقد تعددت تعريفاته، ومفاهيمه عبر الحقب التاريخية لتطور البلاغة العربية، ولا شك أن العرب قد أدركوا أن التعريض من حيث هو أسلوب لغوي في الكلام مُتميز عن بقية الأساليب اللغوية الأخرى. عُرِفَ التعريض لدى القدماء قبل أن يُعرف لديهم كمصطلح بلاغي بمعنى أنه استعمل بمعناه اللغوي حتى ضُبط مفهومه مع حركية الدراسات البلاغية.

وما دل على ذلك أن القرآن الكريم خاطب العرب بلغتهم، وأساليب أدركوها، وتعمقوا فيها، وسأتي على ذكر بعض الشواهد القرآنية التي دل التأمل، والتفكير في معانيها على أنَّ ثمة أسلوب التعريض فيها¹.

لقد دارت أساليب التعريض، والكناية، والمجاز، والتشبيه أولاً على ألسنة العامة، ثم وردت لاحقاً في كتاب الله عز وجل، وقد حفظت لنا المصادر الأدبية، والبلاغية العديد من أساليب تعريض المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتعريض الخلفاء الراشدين من بعده، وغيرها من المعارض لغيرهم من الحكام، والبلغاء، وفي حديثهم عن أسلوب التعريض فسروا المصطلح، ثم اختلط الأمر مع الكناية، بعضهم فصل التعريض عن الكناية، وبعضهم جعل التعريض قسماً من الكناية، وآخرون لا يفرقون بينهما حيث يجعلون الكناية تعريضاً، والتعريض كناية².

ورود الآية الخامسة والثلاثون بعد المئتين من سورة البقرة في قول الله جل ثناؤه: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾³ سبباً في ضبط المفسرين لدلالة التعريض.

¹ ينظر: مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات واللغة العربية بعنوان: التعريض في مدائح المتنبي الكافورية دراسة في الأسلوب والدالة، إعداد الطالب: إبراهيم صالح، وإشراف الدكتور: عمار شلواي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2008م-2009م، ص 7/6.

² ينظر: محمد الحسن مختار بلال، عبد الباقي يوسف البرير، التعريض في شعر المتنبي (دراسة تحليلية تطبيقية)، ص 9 على الموقع:

<http://repository.wnust.edu.sd:8080/jspui/bitstream/123456789/46/1.pdf>

³ سورة البقرة، الآية: 235.

استعملت العرب التعريض في كلامها لتبليغ مُرادها بوجه ألطف، وأحسن من الكشف والتصريح، ويُعيون الرجل إذا كان يُكاشف في كل وجه، وقد جعل الله عز وجل التعريض في خطبة النساء المعتدات من وفاة أزواجهن جائزاً كما ورد في الآية: 235 من سورة البقرة، ولم يُجزِ التصريح، فالتعريض في الخطبة أن يقول للمرأة المعتدة من وفاة زوجها: والله إنك لشابة ولعل الله أن يزكك بعلًا صالحًا، وأن النساء لمن حاجتي، وأشباهه من الكلام¹.

لقد نال التعريض حظاً وافراً من الشرح لدى كل من علماء اللغة، وعلماء البلاغة:

أولاً- التعريض عند علماء اللغة:

نجد "الفراء" في كتابه "معاني القرآن" يشرح التعريض ولا يصرح به، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَوْ

إِبَّاكُم لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾²، و"الجاحظ" أشار للتعريض في مناسبتين منها ما نقله عن "ابن المقفع" أنه قال: "...أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف"، والأخرى قوله: "إذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل، وإذا قيل للعامل (الوالي) مستقص فذلك كناية عن الجور"، أما "ابن قتيبة" في كتابه "تأويل مشكل القرآن" في حديث طويل عن التعريض، والعرب لزم أن تُبلغ إرادتها بوجه هو ألطف، وأحسن من الكشف، والتصريح، ويعيرون الرجل إذا كان يكاشف في كل شيء، أما "أبو العباس ثعلب" فقد وضع التعريض في قسم لطافة المعنى، وعرفه بأنه: "الدلالة بالتعريض على التصريح"، ثم فصل في ذلك فقال: "ومن لُطف المعنى كل ما يدل على الإيماء الذي يقوم مقام التصريح لمن يحسن فهمه واستنباطه"، بينما انطلق "ابن وهب" في كتابه "البرهان في وجوه البيان" في حديث مستفيض عن التعريض، الكناية بحسبائهما وجهين لعملة واحدة هي: "اللحن" قائلاً: "أما اللحن فهو التعريض بالشيء من غير تصريح أو الكناية عنه بغيره"³.

¹ ينظر: أبي منصور الثعالبي، النهاية في الكناية المعروف بالكناية و التعريض، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة-تونس، دت، دط، ص 166.

² سورة سبأ، الآية: 24.

³ محمد الحسن مختار بلال، عبد الباقي يوسف البرير، التعريض في شعر المتنبي (دراسة تحليلية تطبيقية)، ص 10/9، الموقع السابق.

أفهم من خلال ما تقدم من أقوال علماء اللغة أنَّ التعريض يُخالف الإفصاح أو الكشف، لذلك استعملت العرب التعريض كثيراً في كلامها لتبليغ ما تريده بطريقة لطيفة دون الكشف والتصريح، أما "ابن وهب" فليس عنده تعريض، أو كناية بل عنده اللحن الذي يكون تعريضاً أو كنايةً فهما شيء واحد.

ثانياً- التعريض عند علماء البلاغة:

جعل "ابن المعتز" التعريض من محاسن الكلام، ويأتي "أبو هلال العسكري" فيضم التعريض إلى الكناية قائلاً: "وهو أن تُكني عن الشيء وتُعرض به ولا تُصرح على حسب ما عملوا في اللحن والتورية شيء، كما فعل العنبري إذ بعث إلى قومه بصرة شوكة، وصرة رملٍ وحَنظلة يريد: جاءكم بنو حنظلة في عدد كثير ككثرة الرمل والشوك يحكي **العسكر** عن التعريض الذي كَتَبَ به عمر بن مسعدة إلى المأمون: "أما بعد فقد استشفع بي فلان في إلحاقه بنظرائه، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب الشافعين، ولو فعلت ذلك لتعديت طاعته، والسلام فوق المأمون في كتابه: فقد عرفنا تصريحك له، وتعريضك لنفسك، فأجبتك إليهما"¹، أما "ابن رشيق القيرواني" فالتعريض عنده نوعاً من أنواع الإشارة، ولم يُعرف التعريض وإنما قال عن الإشارة: "...وهي في كل من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملاً ومعناه بعيد من مظاهر لفظه"²، أما ما جاء به "عبد القاهر الجرجاني" في قوله: "قد أجمع الجميع أن الكناية أبلغ من الإفصاح والتصريح أوقع من التصريح"³. والجديد الذي لفت إليه "الجرجاني" الأنظار أن ما يأتي بعد "إنما" هو تعريض الأمر الذي لو حذفنا معه "إنما" من العبارة لا تنتفى التعريض، يقول: "ثم اعلم أنَّك إذا استقرت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب،

¹ ابن منقذ، البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد البدوي، حامد عبد المجيد، نقلاً عن: محمد الحسن مختار بلال، عبد الباقي يوسف البرير، التعريض في شعر المتنبي، ص10.

² ابن رشيق القيرواني، العمدية في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1422هـ/2002م، نقلاً عن: محمد الحسن مختار بلال، عبد الباقي يوسف البرير، التعريض في شعر المتنبي (دراسة تحليلية تطبيقية)، ص10، الموقع السابق.

³ محمود شاكر المتنبي، دار الكتب المصرية، ط6، نقلاً عن: محمد الحسن مختار بلال، عبد الباقي يوسف البرير، التعريض في شعر المتنبي (دراسة تحليلية تطبيقية)، ص10، الموقع السابق.

إذا كان لا يُراد بالكلام نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، نحو: نعلم أنه ليس الغرض من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾¹؛ ما يعلمه السامعون من ظاهر المعنى، ولكن ذم الكفار، وأن يقال: أنهم من فرط العناد، ومن غلبة الهوى عليهم أنهم في حكم من ليس بذئ عقل، وإنكم إن طمعتم في الكفار أن ينظروا، ويتذكروا كنتم كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب، ثم إن العجب في هذا التعريض الذي إن ذكر دون "إنما" فلو قلت "يتذكر أولي الألباب" لم يدل عليه في الآية وإن كان الكلام لم يتغير في نفسه².

لقد كان حظ التعريض مع "الزمخشري" أسعد فقد عرف التعريض، ثم ذكر الآيات التي فيها تعريضاً، ثم فصلَ فصلاً تاماً بين التعريض والكناية³.

يُركز "ابن الأثير" في كتابه "المثل السائر" على الفرق بين الكناية والتعريض، فيقول: "أما التعريض فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي فإنك لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إني لمحتاج وليس في يدي شيء، وأنا عريان والبر قد أذاني فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب، وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقةً ولا مجازاً، وإنما دل عليه عن طريق المفهوم، والتعريض أخفى من الكناية لأن الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي، ولا المجازي، وقد سُمي التعريض تعريضاً لأن المعنى يفهم من عرضه أي من جانبه، واعلم أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً، فتأتي على هذا تارة، وعلى هذا أخرى، وأما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب ولا يأتي في اللفظ المفرد البتة"⁴.

من خلال ما قدمته من أقوال علماء البلاغة في باب التعريض ندرك تباين نظرهم لمفهوم التعريض فنجد "ابن المعتز" يجعل التعريض من محاسن الكلام، أما "أبو الهلال العسكري" فضم التعريض إلى

¹ سورة الرعد، الآية: 19، الزمر، الآية: 9.

² ينظر محمود شاكر، عبد الباقي يوسف البربر، التعريض في شعر المتنبي (دراسة تحليلية تطبيقية)، ص 10، الموقع السابق .

³ الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة بيروت، ج 1، نقلًا عن: محمد الحسن مختار بلال، عبد الباقي يوسف البربر، التعريض في شعر المتنبي (دراسة تحليلية تطبيقية)، ص 11، الموقع السابق.

⁴ ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار المعارف، القاهرة، دت، ج 2، ص 56/57.

الكناية وانتهى إلى القول بأن التعريض أن تُكني عن الشيء بدون الإفصاح، وهذا على حساب ما عملوا في التورية واللعن، كما رأى "ابن وهب" أنَّ التعريض وجهاً من وجهي اللحن، أما "ابن رشيق القيرواني" فإنه لم يعرف التعريض، وإنما اكتفى باعتبار التعريض نوعاً من أنواع الإشارة، أما الحقيقة التي جاء بها "عبد القاهر الجرجاني" والتي لفتت الأنظار أن ما يأتي بعد "إنما" هو تعريض الأمر بحيث لو حذفت "إنما" من العبارة التعريضية يصبح المعنى منتوفاً أو ناقصاً، أما ما جاء به "الزمخشري" في باب التعريض هو أنه حلل الصور التعريضية القرآنية تحليلاً بلاغياً ففصل في تعريف الكناية، والتعريض بحيث ذكر أن الكناية هي ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، وأعطى أمثلة لتوضيح هذا الأمر من بينها قولك: طويل النجاد وهي كناية لطويل القامة... أما التعريض وهو أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كقولك للمحتاج إليه: ... جئتكَ لأنظر لوجهك الكريم، وهذا ما يسميه "الزمخشري" بالتلويح أي أن المتكلم يقوم بإمالة الكلام من أجل بلوغ غرض معين، أما ما تحدث عنه "ابن الأثير" هو أنه فرق بين الكناية، والتعريض فعرف التعريض بأنه اللفظ الدال على الشيء عن طريق المفهوم أي أن المعنى يفهم من عرضه، وذكر أن الكناية تأتي في اللفظ المفرد كما تأتي أيضاً في اللفظ المركب، أما التعريض فيأتي فقط في اللفظ المركب، واعتبر التعريض أخفى أي لا يتم الإفصاح عنه كما في الكناية لأن هذه الأخيرة لفظية ضمنية من جهة المجاز، وهذا ما أتى على ذكره علماء البلاغة فيما يخص مفهوم التعريض، والفرقة بينه وبين الكناية.

إن العلوم أرفع المطالب، وأنفع المآرب، وعلم البلاغة من بين العلوم التي لها شأن كبير في تبيين الكلام، إذ هو الأنسب بإيضاح حقائق التنزيل، وإفصاح دقائق التنزيل، وإظهار الإعجاز القرآني¹.

ومن أجل هذا وذاك يسر الله لي أن أقوم بدراسة أسلوب التعريض الواقع في القرآن الكريم بكونه معجز بآلفاظه ومعانيه تحدى ألسنة العرب، ونظراً لما يتميز به هذا الأسلوب في عدم الإفصاح عن المعنى ينتبه له إلا من أتاه الله بصيرة، حيث ينفذ بها إلى حيث يرى من دلالات العبارة القرآنية، وهناك

¹ ينظر: السيد أحمد الهاشمي بك، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، المرجع السابق، ص 8.

يطل منها على الإعجاز القرآني كما لو كان مجسداً أمامه في شكل صورة، وأخلص إلى القول إن التعريض لون من ألوان البيان، وبالتالي فهو مصطلح بلاغي يعانق الفنون البلاغية الأخرى ويلتحم معها.

لا يفتوني الأمر أن أُشير إلى اهتمامات الدارسين المحدثين بالنسبة للتعريض فأقول إن دراستهم للتعريض تباينت فهناك من اكتفى بالإشارة إليه بذكر الاختلافات التي أوردتها العلماء القدامى حول مفهوم الكناية في تداخله مع مفهوم التعريض¹، وهناك من اعتبر التعريض قسماً من أقسام الكناية باعتبار الوسائط أو اللوازم، والسياق وهي: التعريض، والتلويح، والرمز، والإيماء²، وربما "ابن رشيق" أول من اكتفى باعتبار التعريض نوعاً من أنواع الإشارة وهذا باستعماله لفظة (أنواع)³، ثم صاغها "السكاكي" في عبارة واحدة مُستعملاً لفظة "تتفاوت" الذي أشرت إليه سابقاً، وربما يكتفي باحث بمجيء التعريض مجازاً، أو كنايةً، أو حقيقةً بدون الإشارة إلى الاختلافات الثلاثة التي أشرت إليها في تعريف التعريض اصطلاحاً، والكناية تكون عندهم تعريضاً إذا سِقت لأجل موصوف نحو قولك للمؤذي: {المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده} تعريضاً بنفي صفة الإسلام عن المؤذي، وتكون الكناية تلويحاً إذا كثرت فيها الوسائط بلا تعريض أي بلا خفاء نحو: (كثير الرماد) اللزوم نحو: (مكتنز اللحم) كناية عن شجاعته، وتكون الكناية إيماءً، أو إشارةً إذا قلت فيها الوسائط بلا تعريض نحو أن تُشير إلى قريب منك خفية بنحو: شفة، أو حاجب⁴.

ومن الذين أجرو دراسة مُستفيضة في هذا الجانب الباحثة "عائشة حسين فريد" التي قدمت تحقيقاً وافياً في كتابة الكناية والتعريض "للثعالبي" حيث أشارت إلى ذلك التمييز الحاصل بين التعريض من جهة، وبين الحقيقة، والمجاز، والكناية من جهة أخرى، وهذا ما أشرت إليه في حديثي عن التعريض اصطلاحاً.

¹ ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة وفنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط9، ص259.

² ينظر: السيد أحمد الهاشمي بك، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص 392.

³ ينظر: السيد الحسن المختار بلال، عبد الباقي يوسف البربر، التعريض في شعر المتنبي (دراسة تحليلية)، الموقع السابق، ص10.

⁴ ينظر: السيد أحمد الهاشمي بك، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص 393/392.

كما تجدر بي الإشارة أن أذكر رأي الباحث "منير سلطان" في دراسته عن الصورة الفنية في شعر المتنبي حيث تتبع مسار تطور مفهوم التعريض لدى علماء اللغة والبلاغة، ثم أصدر رأيه ويقول في ذلك: "التعريض هو التعبير عن المعنى بغير الألفاظ التي وضعت له، على أن يفهم السامع الفطن صريح المعنى الذي لم يذكر في العبارة، وبذلك أكون قد ضمنت تعريف "الزمخشري" إلى تعريف "الطبري"، وإذا لم يفهم المتلقي المقصود من التعريض لا عيب فيه، أو لا عيب في الصياغة، تحول التعريض إلى تصريح لا يحمل معناه في ذاته"¹.

الجديد الذي أضافه الباحث "منير سلطان" من خلال دراسته، وتبعه لمسار تطور مفهوم التعريض ليتوصل في نهاية الأمر إلى تصور، والذي كان مُقنع حسب رأبي، وهو لا يتعد عن تعريفات المحدثين إلا في لفظة "صياغة" جديدة يظهر أنه توقع أو افترض مُتلقٍ لا يفهم المقصود من التعريض، ورأى أنه ليس عيباً، وهذه الوضعية تُوصل إلى ارتداد المعنى المقصود ليعود إلى نقطة الانطلاق الأولى وهي الإفصاح.

المبحث الأول: دراسة صور التعريض في المعاني والبيان والبديع

¹ منير سلطان، الصورة في شعر المتنبي، ص 276، نقلاً عن مذكرة بعنوان: التعريض في مدائح المتنبي الكافورية دراسة في الأسلوب والدلالة، المرجع السابق، ص 37.

يمتاز أسلوب التعريض بخصوصية ليست للكنائية، ولا المجاز، ولا التشبيه وهي اللفظ المركب، كما أنه يعتمد على متكلم يُحسن العرض، وعلى مُتلقٍ يُحسن الفهم، وعليه أرصد بعض الأمثلة التعريضية الواردة في القرآن من خلال الصور المعنوية، والبيانية، والبديعية.

أولاً: صور التعريض في المعاني (التقديم والتأخير)

أول ما يتبادر إلى الذهن هو السؤال الآتي: ما المقصود بعلم المعاني؟
علم المعاني: هو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابق الكلام مقتضى الحال¹.
ومعنى هذا أن علم المعاني هو علم تعرف به كل الأمور المتعلقة باللفظ من خلال ما يلي: التقديم أو التأخير، والتعريف أو التنكير، والحذف أو الذكر، والإيجاز أو الإطناب أو المساواة.

أ- أحوال التقديم والتأخير وأثرها في التعريض:

ما يهمني في هذا المقام هو التقديم والتأخير، ومن المعلوم أن الألفاظ قوالب المعاني، فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي حسب ترتيبها الطبيعي، فرتبه المسند إليه التقديم وذلك لأن مدلوله هو الذي يخطر أولاً في الذهن، لأنه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم فاستحق التقديم وضعاً، ورتبة المسند التأخير، إذ هو المحكوم به وما عداها فهو متعلقات، وتوابع تأتي تالية لهما في الرتبة، ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا، والاعتبار ما يدعو إلى تقديمها وإن كان من حقها التأخير، ولا يخلو التقديم من أحوال وهي²:

الحالة الأولى: يفيد التقديم والتأخير الزيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ، وذلك هو الغاية القصوى أنظر إلى قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾³.

¹ رمضان القسطاوي، الأساس- المنجد في البلاغة، المرجع السابق، ص7.

² ينظر: السيد أحمد الهاشمي بك، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص159.

³ سورة القيامة، الآيتين: 22، 23.

يظهر في هذه الآية الكريمة تقديم الجار، وفي هذا قد أفاد التخصيص لأن النظر لا يكون إلا لله، إذن يفهم من خلال هذه الآية أن ثمة تعريض بالذين لا ينظرون لله سبحانه وتعالى.

الحالة الثانية: يفيد الزيادة في المعنى فقط نحو قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾¹.
ألاحظ في هذه الآية الكريمة تقديم المفعول به -الله عز وجل- لنخصه بالعبادة، ولا تكون لغيره بحيث لو أخر المفعول به ما أفاد الكلام ذلك. ويتبين أن الآية الكريمة احتوت على تعريض، و يظهر للذي لا يخلص العبادة، ولا يكون شاكرًا لنعم الله سبحانه وتعالى بما أنعم من الهداية، والبراءة من عبادة الأصنام.

الحالة الثالثة: ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير، وليس لهذا الضرب شيء، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾².

لقد فصل العلامة "عبد القاهر الجرجاني" في الآية: 9 من سورة الزمر، حيث نلمس وجود التعريض في الآية للذين يعرضون عن التذكر.

ب- الأغراض البلاغية لتقدم المسند أو تقدم المسند إليه:

قد يتغير الترتيب الأصلي للجملة فيتقدم ما حقه التأخير، ويتأخر ما حقه التقديم وذلك لأغراض بلاغية لهذا التقديم، أو التأخير وهي:³

1- الأغراض البلاغية لتقديم المسند على المسند إليه: ونتعرف على ذلك إذا بدأت الجملة بفعل، أو خبر مقدم، وهذه الأغراض هي كما يأتي:

1.1- التخصيص والقصر: إذا كان المتأخر مقصوراً على المتقدم فقط، نحو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا

فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾⁴.

¹ سورة الزمر، الآية: 66.

² سورة الزمر، الآية: 9.

³ ينظر: علي بابا الله، مقالة بعنوان "الشرح الوافي لدرس التقديم والتأخير" على موقع: <http://www.startimes.com/?t=30882587>

⁴ سورة النجم، الآية: 31.

معنى هذه الآية الكريمة أن ملك السموات والأرض مخصص، ومقصوراً فقط لله عز وجل، وهي تعريض لمن لا يؤمن بأن الله خلق السموات والأرض.

2.1- التفاؤل بما يسرُّ المخاطَب: وهو أن تُقدِّم شيئاً يُدخلُ الفرحَةَ والتفاؤل لمن تُخاطبُهُ نحو طاب يومك.

لقد أوردت هذا المثال فقط لتوضيح هذا الأمر، وتيسيره، فنجد أن: (طاب) مسند، (يومك) المسند إليه، والغرض هو التفاؤل.

3.1- إثارة الذهن وتشويق السامع: عندما يُؤخر شيئاً يُثير فيكَ الرغبة ويُشوقك لمعرفته ويكون المتقدم المسند، والمتأخر المسند إليه نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾¹.

تدل الآية الكريمة على عظمة الخالق عز وجل، وعظمة سلطانه، وشمول قدرته، وما فيها من الإحكام والاتفاق، وبديع الصنع، ولطائف الفعل يدل على حكمة الله، ووضعه الأشياء مواضعها، وخص الله بالآيات أبواب الألباب وهم أهل العقول لأنهم لمنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم وهي تعرض للذين لا يؤمنون بعظمة وحكمة الله في خلقه.

4.1- التعجب: نحو قول الله عز وجل: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾² بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ³.

هذه العبارة فيها تعجب من قدرة الله الواحد الأحد، وهي تعريض للذين يشركون مع الله أحداً.

5.1- التعظيم: نحو قول الله عز وجل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾³.

¹ سورة آل عمران، الآية : 190.

² سورة لقمان، الآية : 11.

³ سورة الأعراف، الآية: 156.

أفهم من خلال هذه العبارة أنها تعظيم لرحمة الله، وهي دالة على أن رحمة الله واسعة عظيمة عمت ووسعت كل شيء، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله وما عداهم فلم نصيب منها، وهنا يظهر المعنى الخفي المستتر وراء هذه العبارة الدالة على التعريض.

6.1- المدح: نحو قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾¹.

في الآية الكريمة إشارة ضمنية لمدح النبي صلى الله عليه وسلم من قبل الله عز وجل).

7.1- الذم: نحو قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾².

هذه الآية فيها ذم واحتقار لمبغض النبي صلى الله عليه وسلم، والأبتر تعني: الأقل، والأذل المنقطع دابره، الذي لا عقب له.

2- الأغراض البلاغية التي يتقدم فيها المسند إليه: ونتعرف على ذلك إذا بدأت الجملة بمبتدأ

له خبر سواء اسماً، أو فعلاً، أو شبه جملة، وهذه الأغراض هي كما يلي:³

1.2- التشويق إلى الكلام المتأخر: إذا كان المبتدأ قد تقدم وتأخر الخبر بعد عدة كلمات فيها

غرابة، أو شيء يُثير العجب فيشوق لما بعده، ومن أمثله قوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُكُمْ﴾⁴.

يظهر أن هذه الآية تحمل معناً خفياً غير ظاهراً، وهذا المعنى هو: لستم أنتم من تعطون الناس مقاماتهم عند الله بل يختار، وينزل من رحمته على من يشاء من عباده، وقد وردت على هذا الشكل من أجل التشويق).

¹ سورة القلم، الآية: 4.

² سورة الكوثر، الآية: 3.

³ ينظر: علي بابا الله، مقالة بعنوان "الشرح الوافي لدرس التقديم والتأخير"، على الموقع السابق.

⁴ سورة الحجرات، الآية: 13.

2.2- تعجيل المساءة: يقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَيَّسَ الْمَصِيرُ﴾¹.

المقصود بالآية حسب تفسير "ابن كثير" النار، وعذابها، ونكالها أشد، وأشق، وأعظم مما تُخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا، كما أنَّ عذاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تنالون منهم².

3.2- للتبرك به: نحو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾³.

ما فهمته من تفسير "ابن كثير" أن الآية الكريمة تدل ضمناً على المؤمن، وهو تعريض في الكلام، فالله عز وجل قد نور صدور المؤمنين فهم يمشون بنور الله.

4.2- تقوية الحكم وتقديره: إذا تقدم المسند إليه، وجاء بعده ضمير يؤكد سواء منفصل، أو

مستتر في الفعل بعده، نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾⁴

حسب تفسير "ابن كثير": قال بن أبي طلحة، عن ابن عباس: خاشعون بمعنى خائفون ساكنون، وكذا روي عن مجاهد، والحسن، وقتادة، والزهري.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه- الخشوع: خشوع القلب. وكذا قال إبراهيم النخعي وقال الحسن البصري: كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك أبصارهم، وخفضوا الجناح، وقال محمد ابن سيرين: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزلت هذه الآية خَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ إلى موضع سجودهم، وقال ابن سيرين: وكانوا يقولون: لا يجاوز بصره مُصَلَّاهُ فإذا كان قد اعتاد النظر فليُغمَض رَوَاهُ ابن جرير وابن أبي حاتم⁵.

¹ سورة الحج، الآية: 72.

² ينظر: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج5، المصدر السابق، ص 453.

³ سورة النور، الآية : 35.

⁴ سورة المؤمنون، الآية : 2.

⁵ ينظر: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج5، المصدر السابق، ص 461.

أفهم من خلال هذه الآية أن الخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، وهي تعريض للفارغة قلوبهم من الإيمان، والذين لا يخشعون في صلاتهم.

- من الممكن أن يتقدم المسند إليه بقصد التخصيص إذا سبق المبتدأ بنفي نحو قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ، فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم: {ما أنا بقارئ}.

أفهم من خلال قول الرسول صلى الله عليه وسلم في سورة العلق أنه تعريض، وما يدل على ذلك التساؤل الآتي: إن جبريل عندما قال للنبي عليه الصلاة والسلام اقرأ هل كان النبي أمامه اللوح المحفوظ في ذلك الوقت ليقراً منه؟ وكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ، ولا يكتب قبل البعثة، أما بعدها فهو الذي كتب القرآن بل وحفظه يمينه حتى يتأكد أنه يأتينا صحيحاً.

وهكذا يظهر أن للتقديم والتأخير فوائد جمة تعبر عن مدى سعي العربية إلى تحصيل جمال التعبير، ولو كان ذلك على حساب الترتيب الذي وضعه الأولون لتراكيبهم، ويقول في ذلك العلامة "عبد القاهر الجرجاني": "هو بابٌ كثير الفوائد، جمُّ المحاسن واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعه، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ من مكانٍ إلى مكان¹".

من خلال هذا القول الصادر عن "عبد القاهر الجرجاني" تتوضح حقيقة بلاغة الأهمية ألا وهي الدور الكبير الذي يلعبه أسلوب التقديم والتأخير، وما يبيته من معان فتتنشط الخيال، وتحرك الأذهان والعقول بصورة رائعة.

من خلال ما تقدم عن صور التعريض في المعاني، والذي خصصته للحديث عن أحوال التقديم، والأغراض البلاغية لتقديم المسند، والمسند إليه أقف عند حقيقة وهي أن الإعجاز القرآني يملك الفؤاد،

¹ ينظر: أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبوفهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة،

ويستولي على العقل، والوجدان، والقرآن الكريم هو أعظم أنيس، وخير جليس، ومن خلال ما من به الله أذكر من التصورات ما يأتي:

- أثر التقديم والتأخير على أسلوب التعريض إعجاز عظيم لا يقع في حصر.
- استطاع أسلوب التقديم والتأخير أن يُخاطب العقل والوجدان، فكان له القدرة على إشراك السامع والقارئ في تفعيل الموقف القرآني، وما ينجر عنه من معان، وآداب رفيعة.

ثانياً: صور التعريض في البيان (الكناية)

مثلاً سبق التعرف على مفهوم علم المعاني لا بد من الإشارة إلى مفهوم علم البيان.

البيان لغة: هو الكشف، والإيضاح، والظهور، أما اصطلاحاً فهو: أصول، وقواعد يُعرف بها إيراد المعنى الواحد، بطرق مختلفة في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى¹.

أفهم من خلال التعريف المتعلق بالبيان أنه علم نستطيع من خلاله إبراز المعنى الواحد بصور مختلفة في درجة الوضوح مع مطابقة كلاً منها مقتضى الحال، ومن هنا يتبين أنه إذا أراد المتكلم أن يعبر عن أي معنى يحول بخاطره وجب أن يختار فنون القول ما هو أقرب لمقصده ليُوصله بطريقة يؤثر بها على نفس السامع.

يبحث علم البيان في التشبيه، والمجاز، والكناية، وهو بهذا يعتمد على المجاز حيث تظهر في نقاط عديدة منها:²

1. أنه يؤدي إلى الإكثار من الألفاظ، وبالتالي تعدد المعاني فتظهر في صورة واضحة.
2. يرشد السامع والقارئ إلى أن هناك ثمة مواطن للقوة، والضعف في النصوص فيتذوقها ليحكم عليها.
3. تمكين المتكلم من التعبير عما يدور في نفسه بطرق مختلفة.

¹ ينظر: السيد أحمد الهاشمي بك، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، المرجع السابق، ص 278.

² ينظر: رمضان القسطاوي، الأساس - المنجد في البلاغة، المرجع السابق، ص 30/29.

4. يَخدم العقيدة من عدة جهات لأنه يساعد على فهم القرآن الكريم، والسنة النبوية، كما أنه يبين سر الإعجاز الذي امتاز به كلام الله عز وجل، سواء من ناحية مقاصده ومعانيه، أو من ناحية أسلوبه وطريقة التعبير.

ونظراً يَيز به علم البيان عامة، والمجاز خاصة من أهمية بالغة في توضيح المعنى، والتعبير عنه بطرق متعددة، وتبيان سر الإعجاز القرآني، تناولت بالشرح، والتوضيح الألفاظ الدالة على أسلوب التعريض في القرآن والتي أشرتُ إليها في الجانب النظري، وهذه الألفاظ هي الكناية التي تظهر في علم البيان، والتّورية التي تظهر في علم البديع.

الكناية:

الكناية كما جرى أن تحدثت عنها في الجانب النظري لا بأس أن أُذكرَ بها، فالكناية في اللّغة: هي ضد التصريح بالشيء يُقال: كنى فلان عن كذا، يعني لم يصرح به.

وفي اصطلاح علماء البلاغة: هي لفظ أطلق، وأريد به لازم معناه الحقيقي مع قرينة غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

وللكناية أقسام باعتبار المكنى عنه وهي ثلاثة:¹

أ. كناية عن موصوف: وهو أن يُصرَحَ بالموصوف، وبالنسبة إليه، ولا يُصرَح بالصفة الواردة.

ب. كناية عن صفة: وهي ما صُرحَ فيها بالصفة، والنسبة، ولم يُصرَح بالموصوف.

ج. كناية عن نسبة صفة إلى موصوف: والمراد بها أن يُصرَحَ بالموصوف، والصفة، ولا يُصرَح بالنسبة.

أ. كناية عن موصوف: كتاب الله هو نهاية البلاغة، أرفعها عماداً وأكثرها مداداً، ولأسلوب الكناية من ذلك نصيب وافر، فتأتي الكناية في كتاب الله عز وجل لتصوير المعنى المعقول في صورة

¹ ينظر: رمضان القسطاوي، الأساس - المنجد في البلاغة، المرجع السابق، ص 101/102/103/104.

محسوسة¹، وكى يتضح هذا الأمر لا بدّ من عرض مجموعة من الأمثلة وردت في القرآن الكريم دالة على الكناية.

قال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾².

لو تأملنا الآية الكريمة نجد أن المقصود من هذه الآية ليس المعنى الحقيقي وهو عض اليدين، وإنما يُقصد المعنى الخيالي الملازم لذكر هذه الآية الذي يظهر، ويتولد في ذهننا من الندم الشديد، حيث إن من ظلم نفسه بكفره بالله ورسوله، ولم يستجب لدعوة الإيمان فسيرى ما ينتظره يوم القيامة وهو النار فيندم على ما صدر منه في الحياة في وقت لا ينفع فيه الندم فيعض يديه).

عض اليدين كناية عن الندم، فقد صرح الله بالموصوف (الظالم)، وصرح أيضاً بنسبة الصفة إليه (على يديه)، ولم يصرح بالصفة وهي الندم، ولكن صرح بما يستلزمها وهو عض اليدين³.

ب. كناية عن صفة: عرض مثال يوضح الكناية عن الصفة، ويتوضح هذا من خلال الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾⁴.

مد التمعن في الآية الكريمة يظهر أنها كناية عن السفينة فقد صرح بالصفة وبالنسبة ولم يصرح بالموصوف.

ج. كناية عن نسبة صفة إلى موصوف: بالنسبة للكناية عن النسبة قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ

الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾⁵.

يبدو في هذه الآية الكريمة أن الصفا والمروة قد نُسبتا لله عز وجل.

¹ ينظر: فضل حسان عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبدیع، المرجع السابق، ص 263.

² سورة الفرقان، الآية: 27.

³ ينظر: رمضان القسطاوي، الأساس - المنجد في البلاغة، المرجع السابق، ص 102.

⁴ سورة القمر، الآية: 13.

⁵ سورة البقرة، الآية: 158.

لكن "عبد القاهر الجرجاني" يعرف الكناية كما يأتي: "الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه، وردفه في الوجود فيؤمن به إليه، ويجعله دليلاً عليه"¹.

التعريف الذي قدمه "عبد القاهر الجرجاني" هو تعريف سار عليه الكثير من البلاغيين الذين جاءوا بعده، وكل ما فعله "السكاكي"، و"القزويني"، وشرح التلخيص أنهم رتبوا ما في "دلائل الإعجاز" واعتبروا أنّ الكناية تنقسم إلى ثلاثة أقسام).

راق لي طريقة الأستاذ "مصطفى بن الحاج" في تقديمه لدروس السنة الثالثة في مادة الأدب العربي فارتأيت أن أذكر ما جاء به الأستاذ في حديثه عن سر جمال الكناية، والذي يتمثل فيما يلي:²

- ✓ الإتيان بالمعنى مصحوباً بالدليل عليه في إيجاز وتحسيم.
- ✓ الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وأسلوب من أساليب البيان، وغاية لا يقوى على الوصول إليها إلا كل بليغ متمرس .
- ✓ الكناية تؤدي المعنى الكبير في قليل من اللفظ، فتضفي على الإبداع حُسناً وبهاءً، وتزيد الصورة وضوحاً، وجمالاً.
- ✓ الإعراض عما يقبح ذكره، وذلك لأن المعنى المجرد يتجسد بصورته الواقعية عن الذهن كقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾³ فلو ذكر هذان المعنيين بلفظهما الموضوعين لهما

لتصورهما الذهن، فتصور الجماع، والحدث للشخص المذكور، وهو أمر قبيح.

¹ أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، مطبعة المدني، مصر، 1413هـ، ط3، ص 66.

² ينظر: مصطفى بن الحاج، الكناية وبلاغتها، مطوية مراجعة موضوعات البلاغة، ثانوية قاديري خالد بالسوق، ج3، ص 3.

³ سورة النساء، الآية: 43.

الكناية لون من ألوان البيان، وقد وردت في كتاب الله، وعُني بها نقاد العرب، وعرفوا مكانتها، ويكفي ما للكناية من وثيق الصلة بالقرآن الكريم حيث جاءت موحية، وموجزة، ومصورة للمعاني، ومؤدبة تتجنب ما ينبو على الأذان سماعه.

ثالثاً: صور التعريض في البديع (التورية)

أبدأ الحديث عن صور التعريض في البديع بالإشارة إلى مفهوم علم البديع، فالبديع في اللغة¹: هو الشيء الموجود على غير مثال سابق كما قال الله عز وجل: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾².

بمعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات، والأرض على غير مثال سابق.

وفي اصطلاح البلاغيين هو علم يُعرف به وجوه تحسين، وتزين الكلام³.

أفهم من خلال تعريف البلاغيين لعلم البديع أنه يزيد الكلام حسناً، ويكسوه رونقاً فتوضح الدلالة.

المحسنات البديعية على قسمين معنوية، ولفظية.

فالمحسنات المعنوية تتضمن⁴: التورية، الاستخدام، الاستطراد، الطباق، المقابلة، مراعاة النظر، الإحصاء، الإدماج، المذهب الكلامي، حسن التعليل، التجريد، المشاكلة، المزاوجة، الطي والنشر، الجمع، التفريق، التقسيم، الجمع مع التفريق، الجمع مع التقسيم، المبالغة، المغايرة، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تأكيد الذم بما يشبه المدح، التوجيه، نفي الشيء بإيجابه، القول بالموجب، ائتلاف اللفظ مع المعنى، التفريع، الاستتباع، السلب والإيجاب، الإبداع، الأسلوب الحكيم، تشابه الأطراف، العكس، تجاهل العارف.

¹ رمضان القسطاوي، الأساس- المنجد في البلاغة، المرجع السابق، ص 107.

² سورة البقرة، الآية: 117.

³ رمضان القسطاوي، الأساس- المنجد في البلاغة، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁴ ينظر: السيد أحمد الهاشمي بك، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص 407 وما بعدها.

أما المحسنات اللفظية فتتضمن ما يلي: الجناس، التصحيف، الازدواج، السجع، الترصيع، التشريع، لزوم ما لا يلزم، رد العجز على الصدر ما لا يستحيل بالانعكاس، المواربة، ائتلاف اللفظ مع اللفظ، التسميط، الانسجام أو السهولة، الاكتفاء، التطريز¹.

بعد الالتفاتة لعلم البديع، وذكر أنواعه، يهمني في هذا النص المحسن البديعي المعنوي وهو التورية باعتبارها لفظاً يدل على التعريض.

كنت قد شرحتُ سابقاً في الجانب النظري المتعلق بالتورية قاعدة مهمة: وهي أن التورية "أن يذكر المتكلم لفظ مفرداً له معنيان، قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي هو المراد"².

المقصود من هذا القول أن التورية لفظ يتألف من معنيين قريب ظاهر ولكنه غير مقصود، وبعيد خفي وهو المقصود.

ولتوضيح هذا الأمر سأذكر لكم هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾³.

يتضمن لفظ "عَرَفَهَا" معنيان قريب ظاهر غير مراد وهو العرف بمعنى الطيب، وبعيد وهو المقصود وهو أنه علمهم منازلهم فيها، وهذا النوع من التورية هو تورية مجردة لأنه لم يذكر ما يلائم المعنى القريب.

أما التورية المرشحة فكما جرى الذكر التي ذكر معها ما يلائم المعنى القريب، وسميت بذلك لتقويتها به، لأنَّ القريب غير مراد، فإذا ذكر لازمه تقوى به، وأمثلة هذا النوع كثيرة فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾⁴.

في هذه الآية الكريمة ذكر المعنى القريب، وذكر من لوازمه البنيان، ويحتمل القدرة وهو المعنى البعيد المقصود.

¹ ينظر: السيد أحمد الهاشمي بك، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص443 وما بعدها.

² ينظر: علي الجازم، ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع للمدارس الثانوية، المرجع السابق، ص277.

³ سورة محمد، الآية: 6.

⁴ سورة الذاريات، الآية: 47.

هذا كل ما يتعلق بالتورية، وأقسامها فهذه الأمثلة المقدمة دلت على أن هناك صلة بين التورية والتعريض، والمتمثلة في الجانب الخفي البعيد، وهو المعنى الذي يصل إليه المتفطن، والذي بإمكانه الوصول إلى المعنى المقصود.

المبحث الثاني: شواهد قرآنية لدلالة أسلوب التعريض

القرآن الكريم مَنهَلُ البيان الذي وقف فحول العرب، وفصحائهم أمامه عاجزين لما يَحْمِلُ من أسرارٍ، وهم الذين طالما خاضوا معارك البلاغة، والبيان فوجدوا أنفسهم عاجزين أمام أسلوب القرآن الكريم الذي خرج عن جميع وجوه النظم المتعارف عليها في كلام العرب، والواقع أن القرآن الكريم كلام الله المعجز، وبيانه المحكم يشتمل على عدّة أساليب، ومن بينها أسلوب التعريض بوصفه مصطلح بلاغي، والذي كَثُرَ استعماله في القرآن حيث تتغير دلالاته تبعاً لتغير السياق، وحاجة المقام¹.

ولما كان التعريض أخفى من الكناية لاعتماده في دلالاته على السياق دون اللفظ كان له من الأثر في النفوس ما لا تبلغه الحقيقة المجردة، أو المجاز، أو الكناية، لأنه يُعِين صاحبه على إخفاء ما يريد من عتاب، أو نقد، أو شكاية عن الحاضرين حتى لا يفهم مُرادُه إلا من يقصده بالتعريض، ولهذا كان التعريض وسيلة ناجحة يستخدمها العالم البليغ في تقويم من تأخذهم العزة بالإثم إذا أمروا بالمعروف أو موعوا عنه منكر، وذلك بإنكار أمر يفعلونه ذاكراً ما ورد منه من الزجر، والوعيد، في الكتاب، والسنة، وسيرة السلف².

التعريض أسلوب في الكلام مُتميز عن بقية الأساليب الأخرى، يقول المتكلم قولاً لا يُصرَحُ بمقصوده منه، ولكن يُشير إليه بإشارة خفية، وعلى المتلقي أن يكون فطناً لهذا الأسلوب حتى يفهم مقصوده، أو يعي ما يرمي إليه المتكلم.

لا يخفي عن أحدٍ أو لا يمكن نكران حقيقة أن المعنى الاصطلاحي مأخوذٌ من المعنى اللغوي، وذلك بزيادة شيء من التحليل.

¹ ينظر: محمد السيد عبد الرازق موسى، الإعجاز البلاغي في التقديم والتأخير، تاريخ النشر 14 ربيع الأول 1436هـ، 5/01/2015م، ص1.

² ينظر: أبي منصور عبد المالك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، الكناية والتعريض، المصدر السابق، ص65.

وبعد إبراز أسلوب التعريض، أقدم أمثلة من الآيات القرآنية الدالة على أن القرآن الكريم قد تضمن أسلوب التعريض بطرق مختلفة، وذلك حسب المقامات، حيث ناطب الله عز وجل بهذا الأسلوب المتميز متلقي له بصيرة تجعله مستوعباً، ومتفاعلاً للأبعاد الدلالية المنجزة وراء كل عبارة تعريضية.

ومن الشواهد القرآنية المتضمنة أسلوب التعريض نجد مثلاً في قوله الله عز وجل: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ^١ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ^٢ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ^(١)﴾.

المقصود هذه الآية الكريمة حسب تفسير "السعدي" هو أن الله سبحانه و تعالى فضل بعض الرسل على بعض بما خصهم من بين سائر الناس بإيجائه، و إرسالهم إلى الناس، و دعائهم الخلق إلى الله، ثم فضل بعضهم على بعض بما أودع فيهم من الأوصاف الحميدة، و الأفعال السديدة، و النفع العام، فمنهم من كلمه الله كموسى بن عمران خصه بالكلام، و منهم من رفعه على سائرهم درجات كنبينا صلى الله عليه و سلم الذي اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في غيره، و جمع الله له من المناقب ما فاق به الأولين، والآخرين، أما في قول الله عز وجل: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ فقد دلت على نبوة عيسى عليه السلام، وأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم و روح منه، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ أي: بالإيمان، و اليقين الذي أيده الله وقواه على ما أمر به، و قيل أيده بجبريل عليه السلام يلازمه في أحواله².

أفهم من عبارة ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ أنها تعريض يشير لقدر النبي محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الرسل، ولم يأتي هذا الدليل صريحاً على ارتفاع منزلته فوق سائر الأنبياء لأن هذا قد يؤلّد مفاضلة بين الأنبياء.

¹ سورة البقرة الآية: 253.

² أبو الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 101/100.

وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾¹، و قوله: ﴿وَلِيَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾²، وقوله: ﴿وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾³.

حسب تفسير "السعدي" فإن المقصود بـ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: أهل العقول الزكية الذكية هم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل، و طاعة الله على مخالفته، لأن لهم عقولاً ترشدهم في النظر في العواقب، بخلاف من لا لبَّ له و لا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه⁴.

هذه الشواهد القرآنية: التي قُمت بعرضها دالة على أنها تعريض إذا لم يُصرح بها، ولكن تفهمُ إلماحاً، وهذه النصوص القرآنية تعريض بالكافرين الذين لا يشكرون نعم الله، وآياته في كونه فهم لا الباب لهم، وأنهم لا يفقهون، وأنهم لا يتفكرون.

ومن النصوص الدالة على التعريض بالجماعة المخاطبة قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ (23)﴾⁵ والمقصود من ذلك مالكم لا تعبدون الله، وقوله تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ والمقصود منها يا جماعة أتعبدون من دونه آلهة؟ وقد وردت في أسلوب الإستفهام المراد منه الإنكار، والتوبيخ، والتفريع.

¹ سورة الزمر، الآية: 9.

² سورة إبراهيم، الآية: 52.

³ سورة ص، الآية: 43.

⁴ أبو الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 763.

⁵ سورة يس، الآيات: 22، 23.

حسب تفسير "ابن كثير" المقصود بهذه الآية ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: و ما يعني من إخلاص العبادة للذي خلقتني وحده لا شريك له، أما ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم المعاد، فيجازيكم على أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر¹.

أفهم من خلال ما قدمته من نصوص قرآنية أن التعريض دلالة على المعنى من طريق المفهوم والعبارة التي يقدمها المتكلم لا يُصرح بها، وإنما تُفهم إلماحاً، ولهذا سُمي التعريض بالتلويح لأن المخاطب يلوح منه للسامع ما يُريده.

مَنْ يَتَّبِعْ وَيُحَاوِلْ فُهِمَ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ يَجِدُ أَنَّ أَسْلُوبَ التَّعْرِيزِ مُوظَّفٌ بِكَثْرَةِ بَدَأٍ مِنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِلَى سُورَةِ النَّاسِ، وَكَمُسْلِمِينَ يَجِبُ أَنْ نَعْمَلَ جَاهِدِينَ عَلَى تَرْسِيخِ هَذَا الْأَسْلُوبِ فِي أَذْهَانِ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، وَإِلَيْكُمْ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ الْمُخْتَارَةُ مِنْ مَعَارِضِ الْكَلَامِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾².

المقصود بهذه الآية حسب "السعدي" هذا مفرد مضاف، يعم كل عمل، ففي نبوة جميع الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأعمال³.

يَتَبَيَّنُ لِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ مُوجَّهَةٌ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَالْمَقْصُودُ بِهَذَا الْخُطَابِ خُصُومَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهِيَ تَعْرِيزٌ بِهِمْ يَرْمِي إِلَى إِنْذَارِهِمْ وَاسْتِدْرَاجِهِمْ لِلْأَدْغَانِ وَالتَّسْلِيمِ، وَالْإِيمَانِ.

وقوله تعالى في مقام آخر: ﴿وَإِذَا أَلْمُوءَدَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9)﴾⁴.

¹ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 6، المصدر السابق، ص 570.

² سورة الزمر، الآية: 65.

³ أبو الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 772.

⁴ سورة التكويد، الآيتين: 8، 9.

المقصود بهذه الآية حسب تفسير "السعدي" ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾ و هي فعل الجاهلية من دفن البنات وهن أحياء من غير سبب، إلا خشية الفقر، فتسأل: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ و من المعلوم أنها ليس لها ذنب، ففي هذا توبيخ، و تقريب لقاتليها¹.

في هذه الآية الكريمة الموءودة لا تسأل عن الذنب بل هو تعريض بتوبيخ وإهانة قاتلها فهو من فعل بها ذلك.

وقوله تعالى أيضا: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾².

أفهم من هذه الآية الكريمة أنها دلت على معنى الخوف من الله سبحانه وتعالى، ولتوضيح ذلك رجعت إلى تفسير "ابن كثير" والذي يشرح الآية بقوله: "إنما يتعظ بما جئت به أولو البصائر والنهي، الخائفون من ربهم، الفاعلون ما أمرهم به"³، وهي بهذا تعريض بالذين لا يخشونه سبحانه.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾⁴.

قال: لم ينس ولكنها من معارضة الكلام، وأراد ابن عباس أنه لم يقللني نسييت فيكون كاذباً ولكنه قال: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ فأوهمه النسيان تعريضاً⁵.

وهذه الآية حسب تفسير "السعدي" أي: لا تعسر علي الأمر واسمح لي، فإن ذلك وقع على وجه النسيان فلا تؤاخذني في أول مرة، فجمع بين الإقرار به والعذر منه⁶.

¹ أبو الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 959.

² سورة فاطر، الآية: 18.

³ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 6، المصدر السابق، ص 542.

⁴ سورة الكهف، الآية: 73.

⁵ أبي منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، النهاية في الكناية المعروف بالكناية والتعريض، المصدر السابق، ص 167.

⁶ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 506.

إذن يتضح أن هذه الآية الكريمة احتوت على تعريض لأنه لم ينس، ولم يكذب، ولهذا قيل: إن في المعارض عن الكذب لمندوحة، وأريد بهذا المثل إن المعارض فيها سعة عن قصد الكذب وتعمره¹.

ومن التعريض قول سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾² أي سأسقم، لأن من كُتب عليه الموت، فلا بد من أن يسقم، وقد أوهم إبراهيم صلى الله عليه وسلم قومه أنه سقيم عليل، ولم يكن عليلًا سقيمًا ولا كاذبًا³.

ولتوضيح مقصود هذا التعريض، وما يحمله من دلالة خفية إستعنت بتفسير "ابن كثير"⁴ في الحديث الذي رواه ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو سلامة، حدثني هشام، عن محمد، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {لم يكذب إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله قوله تعالى: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾⁵، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾⁶، وقوله في سارة هي أختي}.

هو حديث مُخرج في الصحاح والسنن من طرق، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يُدْم فاعله، حاشا وكلا وإنما أُطلق الكذب على هذا تجاوزاً وإنما هو من المعارض في الكلام لمقصد شرعي ديني، كما جاء في الحديث: {إن المعارض لمندوحة عن الكذب} رواه البيهقي في السنن الكبرى من طريق داود بن الزبرقان عن سعيد عن قتادة عن زرارة عن عمران بن الحصين مرفوعاً.

ورواه أيضاً من طريق عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد عن قتادة عن مطرف عن عمران بن الحصين موقوفاً وقال: {هذا هو الصحيح موقوفاً}.

¹ ينظر: أبي منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، المصدر السابق، ص 57.

² سورة الصافات، الآية: 89.

³ أبي منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، المصدر السابق، ص 57.

⁴ ينظر: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج7، المصدر السابق، ص 25/24.

⁵ سورة الصافات، الآية: 89.

⁶ سورة الأنبياء، الآية: 63.

قال سفيان في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾¹ يعني: طعين، وكانوا يفرون من المطعون، فأراد أن يخلوا بأهنتهم. وكذا قول العوفي، عن ابن عباس: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89)﴾²، فقال له وهو في بيت آهنتهم: أخرج فقال: إني مطعون، فتركوه مخافة الطاعون، وقال آخرون: فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ بالنسبة إلى ما يستقبل، يعني: مرض الموت.

وقيل: أراد ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله عز وجل. وقال الحسن البصري: خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم، فأرادوا عليّ الخروج، فاضطجع على ظهره وقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وجعل ينظر في السماء، فلما خرجوا أقبل إلى آهنتهم فكسرهما. رواه ابن أبي حاتم. وفي هذا المقام يجب أن أشير إلى مقولة "النيسابوري" بقوله: "لو جوزنا أن يكذب النبي لمصلحة لبطل الوثوق بالشرائع"³.

يرى "النيسابوري" أن نسبة الكذب إلى إبراهيم إنما هي من مزاعم الطاغين في عصمة الأنبياء، كما يتوقف الرازي أمام الخبر الذي استظهر به "الطبري": "لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات..."، ولا يتخرج أن يقول لأن يضاف الكذب إلى رواته أولى من أن يضاف إلى الأنبياء، ثم يستدرك: "ثم إن هذا الخبر - لو صح - فهو محمول على المعارض"⁴.

لو تنبه "الطبري" - رحمة الله عليه - إلى أن الآية تعريض، وأن دلالتها الظاهرة ليست هي المقصود فما قبل تخريجها على هذا الوجه الذي يقدر في عصمه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

¹ سورة الصافات، الآية: 89.

² سورة الصافات، الآيتين: 88، 89.

³ هامش جامع البيان: 23/17، نقلاً عن: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 50.

⁴ هامش جامع البيان: 22/17، نقلاً عن: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع السابق، نفس الصفحة.

وفي موضع آخر من مواضع التعريض في القرآن الكريم نذكر الآية الكريمة قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ

يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۚ﴾¹.

حتى يتضح معنى الآية يجب أن أستخدم على مجموعة من التفسيرات حتى يسهل علي إظهار المعنى الخفي لأن الغرض من هذه الآية ليس المعنى الظاهر، ولكن أن يذم الله الكفار، وأن يقال أنه من فرط الفساد، ومن غلبة الهوى في حكم من ليس بذي عقل.

فمعنى هذه الآية حسب تفسير "ابن كثير"²: لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾

يا محمد ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ هو ﴿الْحَقُّ﴾ أي: الذي لا شك فيه ولا مرية ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه، بل هو كله حتى يصدق بعضه بعضاً، لا يضاد شيء منه شيئاً آخر، فأخبره كلها حق، وأوامره ونواهيها عدل، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾³ أي صدقاً في الإخبار، وعدلاً في الطلب، فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد، ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه، ولو فهمه ما انقاد له، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾⁴، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: إنما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة الصحيحة.

¹ سورة الرعد، الآية: 19.

² أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج7، المصدر السابق، ص 450.

³ سورة الأنعام، الآية: 115.

⁴ سورة الحشر، الآية: 20.

أما تفسير "الإمامين الجليلين" للآية الكريمة:¹ نزل في حمزة وأبي جهل ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فآمن به كَمَنْ ﴿هُوَ أَعْمَى﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ يتعظ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.²

وبهذه التفسيرات المقدمة يكون قد اتضح معنى الآية الكريمة حيث يذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية أحوال الناس مع القرآن، وانقسامهم فيه إلى قسمين: قسم هم المؤمنون بهذا الكتاب والمصدقون به، فقد أخبر -سبحانه- عنهم أنهم يعلمون حقيقة هذا الكتاب ويقفون عند أسرارها وما يدل على هذا المعنى نجده متجلياً في لفظه ﴿يَعْلَمُ﴾ حينما جاءت فعلاً مضارعاً لتدل على التجدد والحدوث فلما تدبر المؤمنون القرآن أدركوا أنه الحق لأنه نازل من عند الله، وأما القسم الثاني فهم الذين لم يؤمنوا بهذا الكتاب، وما يدل على هذا المعنى ويومئ إليه لفظه ﴿أَعْمَى﴾ لتكون بياناً ودلالة على مواقفه من القرآن، ومعنى الآية: أفمن يعلم كمن لا يعلم؟ ولفظة أعمى إشارة عمن أعرض عن القرآن وكفر به أنه أعمى لإيضاح تحبطه، وضياعه في الجهل.³

وقد دل الاستفهام في قوله ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ﴾ الفروق بين هذين القسمين فجاء الاستفهام لإنكار من يتوهم المماثلة بينهم بعد ظهور الدلائل التي تشير إلى ما بينهما من فروق في الحال والمآل، ولكن من يدرك هذه الحقيقة غير أولوا الأبواب كما جاء في ختام قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾⁴

وقد جاءت هذه الجملة بإثبات التذكر لأولي الأبواب، وقصره عليهم، والقصر واضح بطريق "إنما" وهذا القصر يخفي وراءه تعريضاً بأولئك المشركين الذين لم يستجيبوا للقرآن، وفي هذا تعريض بهم فهم لا عقول لهم.⁵

¹ سورة الرعد، الآية: 19.

² جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي القرآن الكريم، تحقيق: فضيلة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ص 251.

³ ينظر: عبد العزيز بن صالح العمار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية، المرجع السابق، ص 116/115.

⁴ سورة الرعد، الآية: 19.

⁵ ينظر: عبد العزيز بن صالح العمار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية، المرجع السابق، ص 116/117.

إذن تتوضح حقيقة مؤداها أن القصر قد حمل في طياته تعريضاً بموقف المشركين من القرآن، وذلك لما أثبتته القصر من تذكره لأولي الألباب، ونفاه عن غيرهم، ومواقع "إنما" في الكلام يكون أجمل حين استخدمها في التعريض، وهذه الحقيقة قررها العلامة "عبد القاهر الجرجاني" التي كنت قد أشرت إليها في حديثي عن التعريض لدى علماء البلاغة، وذكرت في هذا الجانب الجديد الذي جاء به "الجرجاني" ولفت الأنظار أن ما يأتي بعد "إنما" هو تعريض، الأمر ولو حذفت من العبارة لا تنتفى المعنى، أو التعريض.

المبحث الثالث: القيمة الفنية لأسلوب التعريض في القرآن الكريم

لقد بيّن الأستاذ "أحمد بدوي" قيمة أسلوب التعريض في القرآن الكريم قائلاً: "والتعريض وسيلة مؤدبة مؤثرة معاً، فضلاً عن إيجازها، أما أنها مؤدبة؛ فلأنها تصل إلى الغرض من غير أن تذكر الطرق، ومؤثرة من ناحية أنك توحى بأن ترك التصريح بما يخالف ما أثبتته هو من الواضح بمكان، كما أنّ الاكتفاء بالمشتبك يوحي أحياناً بأنه لا يليق أن يُوازن بين ما أثبت وما نفي"¹.

أفهم من خلال قول الأستاذ "أحمد بدوي" في إبرازه لقيمة أسلوب التعريض في القرآن الكريم أن هذا الأسلوب بمثابة وسيلة مؤدبة فكونها مؤثرة ذلك أنها تؤدي الغرض بدون ذكر الطرف الآخر أما أنها مؤثرة فيتجلى ذلك في قدرتها على الإخفاء فالمعنى غير مصرح به.

يعدّ التعريض وسيلة بيانية تنبع في بيئة نالت حظاً من التهذيب الاجتماعي، والخلقي، حيث تفرض على المتكلم التقيد بعبارات مؤدبة بعيدة عن جرح المشاعر، والإهانة، وغير ذلك من العبارات المؤدبة.

والتعريض يكثر في القرآن الكريم، حيث لا ينتبه له إلا من آتاه الله بصيرة، ينفذ بها إلى حيث يرى من دلالات العبارة القرآنية ما وراء الحدود التي تنتهي إليها بلاغة البشر، وهناك يستشرق آفاق يطل منها على الإعجاز وكأنّه يراه مجسداً أمامه في صورة².

إن استقراء مواقف الدعوة، ومقامات الحوار، والجدل في القرآن يُظهر أن أسلوب التعريض يكثر فيها مما يبدو في أي مقام آخر من مقامات القول³، فعلى سبيل المثال سورة الفاتحة إذا تأملناها، نجد أنها سورة الانتماء للإسلام فالمقصود "بالصراط المستقيم" حسب تفسير "السعدي" أي: "ذلنا وأرشدنا ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله وإلى جنته، وهو معروفة الحق والعمل به، فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان"⁴.

¹ ينظر: عبد العزيز بن صالح العنّار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية، المرجع السابق، ص 114.

² ينظر: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع السابق ص 153.

³ ينظر: إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 156.

⁴ ينظر: أبو الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 26.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ¹ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ¹﴾

وإن ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ²﴾ هم النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين حسب تفسير "السعدي". وإن ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ³﴾ الذين عرفوا الحق، وتركوه كاليهود، ونحوهم.

قال تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ⁴ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ⁴﴾.

أما الضالين هم النصاري قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ⁵﴾.

"الصراط المستقيم" وصفه بالاستقامة تعريض بغيره من السبل، سبيل المغضوب عليهم، وسبيل الضالين، وسبيل المشركين، ... وكل ما يدخل تحت: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ¹﴾.

وتخصيص الصراط- عن طريق هذه الإضافة- بالذين أنعمت عليهم تعريض بغيره من السبل. وإبدال: "غيرالمغضوب" من "الذين أنعمت عليهم" وبيانهم به، ثم عطف: "ولا الضالين" عليه، وتعريض بالذين تفرقت بهم السبل عن صراط الله المستقيم وفي مقدمتهم اليهود والنصارى، وعندما تقول: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، ومن حولك كانوا يقولون: باسم اللات، باسم العزى، باسم الأب والابن والروح القدس، فأنت تعرض بمقولاتهم الباطلة، وفي "رب العالمين" تعريض بالمعضلة، والدهرين، والملاحدة على تعميم، ثم أي نعبدك ولا نعبد سواك ونستعينك ولا نستعين غيرك⁶.

من خلال هذا التوضيح لأسلوب التعريض يتضح أنه يمثل أفضل طرق التعبير، وأنه يتيح لك أن تعلن مخالفتك للآخرين في الدين والعقيدة، دون أن تستفز خصومتهم، أو تشعل عداوتهم.

¹ سورة الأنعام، الآية: 153.

² سورة الفاتحة، الآية: 7.

³ سورة الفاتحة، الآية: 7.

⁴ سورة البقرة، الآية: 90.

⁵ سورة المائدة، الآية: 77.

⁶ إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 157/158/159.

وفي سياق المناظرة أو الحجاج الديني الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم، والمُشركين من قومه، والذين نُعتوا "بالضلال" ويتجلى ذلك في قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾¹ أرى أن الآية قد سلكت مسلكاً تعريضياً بدل الإفصاح فكان هذا المسلك التعريضي قادر على إثبات حقيقة المشركين الضالين، وهنا تتجلى القيمة الفنية في أسلوب التعريض، وهذا المسلك يتوضح في قوله تعالى ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

فهذه الآية حسب تفسير "ابن كثير": من باب النشر، أي: واحد من الفريقين مُبطل، والآخر مُحق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مُصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدَل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله، ولهذا نزلت هذه الآية.

وقال قتادة: قد قال ذلك أصاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين: والله ما نحن وإياكم على أمر واحد، إنَّ أحد الفريقين لمهتدٍ.

وقال عكرمة وزباد بن أبي مريم: معناه: إنا نحن لعلَى هدى، وإنكم لفي ضلال مُبين².

أما تفسير "الإمامين الجليلين" للآية الكريمة: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ أي: المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ أي: النبات، ﴿قُلِ لِلَّهِ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ أي أحد الفريقين ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بَيِّن في الإبهام تُلطف بهم داع إلى الإيمان إذا وقفوا له³.

من خلال ما تقدم من تفاسير للآية الكريمة يتوضح أن الله عز وجل يَعْلَمُ أن رسوله هو المهتدي أما من خالفه فهو الضال، وهذه الحقيقة أفصح عنها السياق لأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يُفصح أي الفريقين على هدى أو ضلال فجعلهما بمثابة احتمال، ومن خلال هذا السياق تتحدد دلالة التعبير وقوفاً على المعنى التعريضي وكأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يسأل هؤلاء المشركين الذين ضلت عقائدهم

¹ سورة سبأ، الآية 24.

² أبي فداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن الكريم العظيم، ج6، المصدر السابق، ص517.

³ جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، القرآن الكريم، المصدر السابق، ص430.

المزيفة حين عبدوا آلهة لا تضر ولا تنفع، وبسؤاله هذا يدفع المشركين إلى الإقرار بأن آلهتهم التي يعبدونها لا تنفعهم، وأن لا رازق سوى الله عز وجل، وبهذا يكون المعنى الظاهر في الآية ويمثله فريق المؤمنين المهتدين، أما المعنى التعريضي، أو الخفي وهم فريق المشركين الضالين).

لا يفتوني أن أدرج "إنما" كقيمة فنية للتعريض لأن موقعها في التعريض يزيدُها بهاءً، وجمالاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾¹.

أول ما يتبادر إلى ذهني أن الآية الكريمة دالة على تعريض بوقوع "إنما"، وهي تعريض بمن لا يخشون ربهم، وأن إنذارهم لا ينفعهم.

ومن تعريض البديع في قوله عز وجل: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾².

وجود استفهام في الآية الكريمة أكسى العبارة التعريضية جمالاً فالتعريض بالاستفهام عن استطاعة الخالق تنزيل مائدة من السماء.

¹ سورة فاطر، الآية: 18.

² سورة المائدة، الآية: 112.



الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين.

وبعد: فإني توصلت في ختام هذا البحث إلى جملة من النتائج، والاستنتاجات الآتية:

- التعريض هو لون من ألوان البيان أي مصطلح بلاغي، وقد ورد بكثرة في القرآن الكريم بوصفه مُعْجَزٌ بِالْفَاظِ، ومعانيه تحدى ألسنة العرب.
- التعريض خلاف التصريح، وهو المعنى الحاصل عند اللفظ لا به، وهناك ألفاظ ذات صلة بالتعريض وهي الكناية، والتورية.
- الكناية يقصد بها أن تريد المعنى وتُعبّر عنه بغير لفظه، أما التورية أن يذكّر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان، أحدهما قريب ظاهر غير مقصود، والآخر بعيد خفي وهو المقصود، والتورية على قسمين الأولى مرشحة، والثانية مجردة، فالمرشحة هي التي ذكر معها ما يُلائم المعنى القريب، أم المجردة فهي التي يذكر معها ما يُلائم المعنى القريب.
- يمكن رصد وجوه الاختلاف بين الكناية والتعريض كما يلي:
 - أ. تعدّ الكناية معدودة في المجاز بخلاف التعريض فلا يعد منه لأنه مفهوم.
 - ب. تقع الكناية في اللفظ المفرد، والمركب على عكس التعريض فيأتي فقط في اللفظ المركب.
 - ج. التعريض أخفى من الكناية.
- التورية تردّ من اللفظ فهي أخص من التعريض الذي يُفهم المراد منه من خلال السياق، وهذا الأخير تقع بداخله العبارة التعريضية فيتفاعل معها بما يضمه من قرائن لفظية فيحملها طاقات دلالية جديدة وبالتالي تكون المعنى التعريضي.
- السياق مصدر الدلالة في التعريض فهو يؤثر في الدلالة، وامتصل بها على خلاف المقام فهو ذو بعد اجتماعي يؤثر في الدلالة رغم انفصاله عنها.

- المقام جملة من الملابس تحيط بالحدث اللغوي، ومن بين هذه الملابس: الزمان، والمكان، والأشخاص، وأسباب النزول.
 - لقد أباح الله سبحانه تعالى استخدام معارض الكلام فيما يجوز، ونجد ذلك في العديد من الآيات القرآنية، والسنة النبوية، وقول السلف، وكلام العرب، ولا يجوز استعمال معارض الكلام فيما لا يجوز كالتعريض بالقذف الصريح، والمكر، والسب، ونحو ذلك.
 - لقد تباينت آراء علماء اللغة والبلاغة في تفسيرهم لمصطلح التعريض فبعضهم يَفْصِلُ التعريض عن الكناية، وبعضهم يجعل التعريض قِسْماً من الكناية، والآخر لا يميزون بينهما بحيث يجعلون الكناية تعريضاً، والتعريض كنايةً.
 - ورود التعريض في القرآن الكريم أكسبه أهمية كبيرة حتى صار وسيلة ناجحة يستخدمها الامام البليغ في توجيه خطابه وتقويم من تأخذهم العزة بالإثم ذاكراً ما جاء من الزجر، والوعيد في كتاب الله عز وجل، والسنة النبوية.
 - التعريض مصطلح بلاغي مُتَمَتِع يقضي الحاجة بدون تجريح وهو أبلغ بكثير من التصريح.
- وفي الأخير هذا ما منَّ الله عليَّ به، ووفقي لكتابته في هذا الموضوع فإنَّ أصبَتْ فمن الله سبحانه وتعالى، وإن أخطأتُ فمن نفسي، ومن الشيطان، وأسأَلُ الله أن يُلهمني السداد، وأن يأخذ بيدي إلى طريق الخير والرشاد، إنه بالإجابة جدير، وعلى كل شيء قدير، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



الرموز المستعملة

الرموز المستعملة

م: ميلادي

هـ : هيجري.

ب ط: بدون طبعة.

ص : صفحة.

تح: تحرير.

تر: ترجمة.

دت: دون تاريخ.

ج: جزء.

مج: مجلد.

...: كلام محذوف.

﴿﴾: قول الله عزّ وجلّ.

{ } : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

" " : قول هام، علامة، كاتب.

* : شرح لفظة غامضة.



مكتبة البحث

مكتبة البحث:

أ. المصادر:

1. القرآن الكريم، برواية ورش عن الإمام نافع.
2. ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار المعارف، القاهرة، دت، ج2.
3. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (دلل)، مج1، دار الحديث، 1427هـ-2006م.
4. أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط2، 1436 هـ - 2010 م .
5. أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، دار اقرأ، ط4، 1405هـ-1985م.
6. أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن الكريم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1 (1418هـ-1997م)، ط2 (1420هـ-1999)، ج1.
7. أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، مطبعة المدني، مصر، 1413هـ، ط3.
8. أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبوفهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 2004، ط5.
9. عثمان عمر وبن بحر الجاحظ، تهذيب الأخلاق، قرأه وعلق عليه: أبو حديفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث بطنطا، 1410هـ/1989م، ط1.
10. أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، دراسة وشرح وتحقيق د. عائشة حسين فريد، أرباء للطباعة والنشر والتوزيع عبده غريب شركة مساهمة مصرية، 1998م، ب ط.
11. أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، النهاية في الكناية المعروف بالكناية والتعريض، تحقيق: فرج الحوار، دار المعارف للطباعة والنشر سوسة - تونس، دت، دط.

12. جلال الدين السيوطي الشافعي، الإتقان في علم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب ط، ج1.
13. جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، القرآن الكريم، تحقيق: فضيلة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير.
14. شمس الدين أبي عبد الله محمد المعروف بابن القيم الجوزية الحنبلي، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تصحيح السيد محمد بدر الدين النعماني، مصر، ط1، 1327هـ.

ب.المراجع:

1. إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التّعريض في القرآن الكريم، دار البصائر، القاهرة، ط1، 1425هـ- 2004م .
2. رمضان القسطاوي الأساس- المنجد في البلاغة، دار أطفالنا للنشر والتوزيع، 2016م.
3. السيد أحمد هاشمي بك، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، 1434هـ/2013م.
4. عبد الجليل مرتاض، علم اللسان الحديث في القرآن الكريم، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع الجزائر-2013، دط
5. عبد العزيز بن صالح العمار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية، سلسلة حكمة تصدر عن جائزة دبي للقرآن الكريم، ط1، 1427هـ- 2006م.
6. علي الجازم، ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع للمدارس الثانوية، دار المعارف، لندن، د ت، د ط.
7. حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط10، 2005م.
8. فضل حسن عباس، البلاغة وفنونها وأفنانها علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط9، 2004م.

9. محمد السيد عبد الرزاق موسى، الإعجاز البلاغي في التقديم والتأخير، تاريخ النشر 14 ربيع الأول 1436هـ، 2015/01/05م.
10. مسعود بودوخة، حسين تروش، مختار ملاس، صافية درابي، الأسلوبية مفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية، بيت الحكمة، ط1، دت.
11. مصطفى بن الحاج، الكناية و بلاغتها، مطوية مراجعة موضوعات البلاغة ثانوية قادييري خالد بالسوق، ج3.
12. مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، 2000م، ط11.
13. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح دمشق 1414هـ / 1993م، ط1.
14. وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، ط1 (1403هـ-1983م).

المعاجم :

1. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الأمواج، بيروت- لبنان 1990، ط2.
2. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب (دل)، مج1، دار الحديث 1427هـ- 2006م.
3. إميل بديع يعقوب، ود. ميشال العاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب دار العالم للملايين، ط1 سبتمبر 1987.
4. عبد القادر محمد الرازي، المعجم الوجيز الميسر، دار الكتاب الحديث، ط1، 1414هـ- 1993م.
5. محمد بن علي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، تح: رفيق العجمي وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، 1996، ط1، مج1.

المجلات و رسائل التخرج

1. عماد أموري جليل: حكم معارض الكلام في الفقه الإسلامي، مجلة الفتح، 2007م، العدد الثلاثون.

2. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات واللغة العربية بعنوان: التعريض في مدائح المتنبي الكافورية دراسة في الأسلوب والدلالة، إعداد الطالب: إبراهيم صالح، وإشراف الدكتور: عمار شلواي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2008م-2009م.

مواقع الأنترنت

1. علي بابا الله، مقالة بعنوان "الشرح الوافي لدرس التقديم و التأخير" على موقع:

<http://www.startimes.com/?t=30882587>

2. محمد الحسن مختار بلال، عبد الباقي يوسف البرير، بحث بعنوان "التعريض في شعر المتنبي"

(دراسة تحليلية تطبيقية)، ص 9 على الموقع:

<http://repository.wnust.edu.sd:8080/jspui/bitstream/123456789/46/1.pdf>



فہرست

فهرست

.....	بسملة
.....	دعاء
.....	تشكرات
.....	إهداء
أ	مقدمة
2	المدخل

29-5

الفصل الأول: التعريض ودلالته

6	تمهيد
6	أولاً: تعريف الأسلوب لغةً و اصطلاحاً
6	أ. الأسلوب لغةً
6	ب. الأسلوب اصطلاحاً
7	ثانياً: تعريف الدلالة لغةً واصطلاحاً
7	أ. الدلالة لغةً
7	ب. الدلالة اصطلاحاً
8	ثالثاً: تعريف القرآن الكريم لغةً و اصطلاحاً
8	أ. القرآن الكريم لغةً
8	ب. القرآن الكريم اصطلاحاً
10	المبحث الأول: تعريف التعريض لغة واصطلاحاً والألفاظ ذات الصلة به
10	أولاً: تعريف التعريض لغةً واصطلاحاً
10	أ. تعريف التعريض لغةً
11	ب. تعريف التعريض اصطلاحاً
12	ثانياً: الألفاظ ذات الصلة بالتعريض
12	1. الكناية
12	أ. تعريف الكناية لغةً
12	ب. تعريف الكناية اصطلاحاً

14 2. التورية
17 المبحث الثاني: دلالة التعريض
17 المقصود بدلالة التعريض
19 المبحث الثالث: أهمية عناصر الدلالة في أسلوب التعريض
19 أولاً: العبارة في أسلوب التعريض
20 ثانياً: السياق في أسلوب التعريض
21 ثالثاً: المقام في أسلوب التعريض
25 المبحث الرابع: مشروعية وحكم معارض الكلام في القرآن الكريم
25 أولاً: مشروعية معارض الكلام
26 ثانياً: حكم معارض الكلام
26 أ. بالنسبة لحكم التعريض بالخطبة
26 1. التعريض لمخطوبة الغير
26 2. التعريض بخطبة المعتدة الرجعية
26 3. التعريض بخطبة المعتدة المتوفى عنها زوجها
26 4. التعريض بخطبة المعتدة البائن
26 • المذهب الأول
27 • المذهب الثاني
27 5. التعريض بخطبة المعتدة من نكاح فاسد أو فسخ
27 المذهب الأول
27 المذهب الثاني
28 ب. بالنسبة لحكم التعريض بالقذف
28 ■ المذهب الأول
29 ■ المذهب الثاني

64-30

الفصل الثاني: بلاغة التعريض و دلالاته في القرآن الكريم

31 تمهيد
38 المبحث الأول: دراسة صور التعريض في المعاني والبيان والبدیع
38 أولاً: صور التعريض في المعاني (التقديم والتأخير)

38	أ- أحوال التقديم و التأخير و أثرها في التعريض
38	• الحالة الأولى
39	• الحالة الثانية
39	• الحالة الثالثة
39	ب- الأغراض البلاغية لتقديم المسند أو تقديم المسند إليه
39	1- الأغراض البلاغية لتقديم المسند على المسند إليه
41	2- الأغراض البلاغية التي يتقدم فيها المسند إليه
44	ثانياً: صور التعريض في البيان (الكناية)
48	ثالثاً: صور التعريض في البديع (التورية)
51	المبحث الثاني: شواهد قرآنية لدلالة أسلوب التعريض
61	المبحث الثالث: القيمة الفنية لأسلوب التعريض في القرآن الكريم
66	الخاتمة
69	الرموز المستعملة
71	مكتبة البحث
76	فهرست